نهضة المرأة المصرية
والمرأة العربية في التاريخ

(بحث تاريخي اجتماعي ادبي)

مزين بالصور والرسوم

في نهضة المرأة المصرية الحالية

ومقارنتها بنهضة المرأة العربية في التاريخ وبيان حال

المرأة المصرية قبل النهضة وبعدها ومظاهر هذه النهضة والادوار

التي تقلبت فيها ومظاهرات النساء وجمعياتهن واعمالهن وغير ذلك

تأليف

عبد الفتاح عباده

مطبعة الهلال بشارع نوبار بمصر

سنة ١٩١٩

تمهيـد

في نهضة المرأة المصرية

والمرأة العربية في التاريخ

ان الايام الحالية هي أهم ايام التاريخ المصري الحديث وسيجد فيها المؤرخ لتاريخ مصر الجديدة مجالاً واسعاً لتقرير الحقائق عن هذا التطور الاجتماعي العجيب الذي شمل الامة المصرية باسرها

واذا عد من فضائل حادثتنا التاريخية الاخيرة انها افضت حتى الا ن الى نتائج جليلة في تحقيق أمانينا القومية فلا شك أن اخطر هذه النتائج نتيجتان هما أهم مظاهر هذا التطور وأعظم اركان هذا الانقلاب :

(النتيجة الاولى) توثق الرابطة القومية وتوطد دعائم وحدة المزاج العقلي للامة المصرية بجميع كلة عنصريها واتحادهما اتحاداً تاماً

(النتيجة الثانية) نهضة المرأة المصرية وظهور نبوغها وتكوّن الجامعة النسائية . فاتحاد الامة لا يقل عنه شأناً نهوض المرأة فهما الركنان الاساسيان لتطورنا الاجتماعي ولطالما صبت اليهما نفوس ابناء النيل

ظهرت المرأة المصرية في هذه الآونة العصيبة بمظهر راق سام فدلت بعلمها وعملها واهتمامها بالشؤون العامة على انها تساجل المرأة الغربية في كل شأن ولا تقل عنها مقاماً وعملاً وهمة واثراً في شعبها . فهذا المظهر الجديد الذي ظهرت به المرأة عندنا هو اول ما عرف من نوعه في مصر وهو ما دفعنا الى كتابة هذه الرسالة لتأريخ مظاهر تلك النهضة المباركة وتنشيط هذه الحركة الجليلة واجلال هذه الروح الحميدة

ولا يخفى تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية ، فالمتتبع لتاريخ المجتمع الانساني يرى أن الامم انما ترقى بالمرأة الراقية ، فقام المرأة في كل أمة هو معيار رقي تلك الامة وانحطاطها حتى قال لامارتين « اذا اردتم أن تعرفوا احوال أمة من الامم ادبياً وسياسياً فابحثوا فيها عن المرأة » وقال نابليون « اذا اردت ان تعرف رقي امة فانظر الى نسائها » فكلما كانت المرأة راقية عالمة عاملة كان الشعب راقياً متعلماً عاملاً

لانها هي التي تربي الشعب « والامة نسيج الامهات » . ولقد تقدمت الشعوب التي عرفت مهمة المرأة فعلمتها حتى تبوأت مقامها السامي وتأخرت الامم والشعوب التي جهلت تلك المهمة فلم ترقها فظلت هي متأخرة منحطة بتأخر المرأة . ويتبين تأثير المرأة العظيم في حياة الامم مما تم عنه أمثالها العديدة فكما يقول الفرنسيون « فتش عن المرأة » Cherchez la femme في منشأ كل عمل يجري بين الناس يقول غيرهم « أن التي تهز السرير بيمينها تهز الارض بيسارها » الى غير ذلك مما هو نتيجة أختبار البشر الى اليوم . وبالاجمال يتوقف رقي الامة على رقي المرأة اذ لا تفلح أمة امهاتها جاهلات ولا غرو فأية أمة آخذة باسباب الرقي ترقى بالرجال دون النساء ؟ بل أي جسم من الاجسام الحية (والامة جسم حي) يكون صحيحاً سليماً اذا كان نصفه أشل ضعيفاً ؟

لذلك نرى من فضائل هذه الساعات الخطيرة في تاريخنا ، ونتائج هذه الايام العصيبة التي تمر بنا ، والتي ستظل حوادثها ومشاهدها منقوشة على صفحات قلوبنا ، تطور حال المرأة عندنا ونهضتها ودخولها في دور من الرقي الادبي والاجتماعي يذكرنا بما كانت عليه قديماً ايام مجد الفراعنة اذ تولت العروش في عهد مدنيتهم الزاهرة وارتقت اعلى المقامات حتى ألهوها كالرجال النابغين فيهم ، يذكرنا بعهد نيتوكريس أم المدنية القديمة والآثار الخالدة وكليوباتره والنهضة النسائية العربية قبل الاسلام وبعده اذ نبغ منهن من اشتهرن بالعقل والحكمة والدهاء وكان لهن اكبر تأثير في احوال الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسية حتى ظهر منهن من تولت الملك وقادت الجند وشادت الممالك فضلاً عن الخطيبات والكاتبات والشواعر والفقيهات والطبيبات وغيرهن ممن ضربن في الآداب والعلوم بسهام نافذة وأثرن في النهضات المختلفة مما سنأتي على تفصيله الآن قبل أن نأخذ في موضوعنا لما في ذلك من أوجه المشابهة بين نهضة المرأة المصرية في تطورنا الحالي ونهضة المرأة العربية اثناء الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث قبيل الاسلام وبعده ، فاذا كان لنا عظة من ماضينا وجب علينا أن نلتفت اولاً الى تاريخنا لنرى ما ينطق به عن نهضة المرأة العربية سالفتها وانها كانت من اكبر العوامل في نهضة العرب فنقدر نهضة نسائنا ونضعها في الموضع اللائق بها من الاجلال بل نستبشر ونرحب باكبر عوامل رقينا . فحياة الامم وتاريخها تكرار وتجديد

المرأة العربية

ونهضتها في التاريخ

الملكات العربيات

كان للمرأة عند العرب شأن عظيم وتأثير كبير في حياتهم القومية منذ أقدم عصورهم. فتاريخهم طافح بأعمالها وما كان لها من المقام الرفيع، ففي تمدينهم القديم تعاطت الادارة وعانت سائر أعمال الرجال ونبغ من نساء العرب من اشتهرن بالحكمة



زينوبيا ملكة تدمر وقد أحاط بها جند الروم للقبض عليها

والدهاء وتولين الملك والمناصب وقبضن على أزمة السياسة، وقد حفظ التاريخ أسماء كثيرات من الملكات العربيات ومن أسند اليهن الملك في الجاهلية الاولى بل كان في أعالي الحجاز من الدول العربيـة من لا يتولى الملك فيها الا النساء، فالانباط وهم عرب كانوا في دولتهم يشركون نساءهم في الحكم كما تفعل أرقى الامم المتمدينة الآن. ودولة تدمر العربية خلفت ذكراً لا يمحوه كرور الايام بنبوغ أعظم ملكة عربيـة نعني « زينوبيا » ملكة تدمر التي يسميها العرب « الزباء » واسمها الاصلي « بنت

زباي » . فحديث الزباء يملأ التاريخ اعجاباً واكباراً ، فقد كانت بارعة في الجمال عالية الهمة واسعة الاطلاع ذات شأن عظيم في التاريخ اذ مدت سلطانها من أطراف الفرات الى أطراف مصر فاستولت على جزء عظيم من المملكة الرومانية الشرقية وجعلت تدمر عاصمة الشرق كله ، وقربت العلماء والشعراء والادباء ، وبرعت في العربية والسريانية والمصرية واليونانية ، وكانت تجالس قوادها وأعوانها وتباحثهم وتجادلهم فتغلبهم بقوة برهانها ، فخافها الروم وجند أورليان جيشاً عرمرماً حمل به عليها فقادت جيشها وضيقت على عدوها بدهائها حتى قال خصمها القائد الروماني هذا : « خذوا عنها فن الحرب » وقالوا في تاريخ فن الحرب « انها أول من جرد الساقة لحماية الجيش كله بارتداده » . فهي من النساء اللواتي تفتخر الامم بأمثالهن . ناهيك « بلقيس » ملكة سبا وجنوب بلاد العرب وحديثها مع سليمان مشهور ، وغيرها من الملكات العربيات اللاتي اشتهرن بالعقل والحزم والشجاعة

ومن هذا القبيل من نبغ من النساء صاحبات الوجاهة والنفوذ « كهند بنت النعمان » «وماء السماء بنت عوف» التي يقال أنها تولت الملك ومن نسلها ملوك الحيرة الذين ينسبون اليها وكانت ذات منزلة رفيعة يهاديها الاكاسرة بالجواهر ويفتخر العرب بها . ناهيك عمن اشتهرن في الجاهلية من العرافات والكواهن « كظريفة » و « سجاح » التي لم تقتنع بالكهانة فادعت النبوة والتف حولها جمع كثير لدهائها حتى قادت أكابر قومها الى رأيها وغيرها مما دلّ على قوة المرأة في الجاهلية ووصولها الى درجة الكهانة وهي لا يتولاها الا الممتازون بالعقل والتدبير بعد ان ينالوا المقام الرفيع ويحرزوا العلم الواسع

حرية المرأة العربية

وقد يتوهم كثير من الناس أن النساء في ذلك العهد كنّ يتزوجن من يختاره لهنّ ذووهنّ ويكرهنّ على الاقتران بمن لا يعرفنه او لا يرغبن فيه وهذا غير صحيح بل كانت الانثى مخيرة دائماً تختار من تشاء وتتزوج من تعرف اذا لم يكن ثمّ ما يمنع زواجها مما يخشى منه على طيب الذكر أو يبعث تحدّث الناس. وقد جاء على ذلك شواهد كثيرة اجتزئ منها بما نقلوه عن الخنساء الشاعرة وذلك أن دريد ابن الصمة رآها فاعجبته فانصرف وأنشد ابياتاً منها :

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم طالى أينقٍ جرب
متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقبِ

فلما أصبح غدا على أبيها يخطبها اليه فقال له أبوها : « مرحباً بك انك السيد الذي لا يرد في حاجته ، ولكن لهذه الفتاة في نفسها ما ليس لغيرها وانا اذكرك لها » ثم دخل اليها وقال لها « يا خنساء أتاكِ فارس هوازن وسيد بني جشم يخطبك وهو من تعلمين » فقالت : « يا أبتِ أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ومتزوجة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد » . فلم يجبها ابوها بشيء مع رغبته في تزويجها لدريد وخرج فاعتذر اليه بانها قد امتنعت . وهناك أدلة كثيرة أخرى أكثر صراحة يعلم منها كم كانت المرأة وقتئذٍ حرة في اختيار من تشاء ورفض من تشاء زوجاً لها ، وفي هذا الشاهد دليل على ان النساء كنَّ يخرجن حاسرات بلا نقاب ولذلك قال دريد : « متبذلاً تبدو محاسنه »

ويقال بالاجمال ان المرأة العربية كان لها شأن ورأي وكانت على درجة عظيمة من الرقي ، لها من الحرية ما للغربية اليوم وكانت تخيَّر في الزواج فلم يكن الرجل يزوج ابنته الا بعد ان يشاورها ويأخذ رأيها (١)

ومما يزيد في فضل هذه المشيئة التي تركها العرب لفتياتهم في اختيار الزوج أن النساء في الجاهلية أو بعضهن كنّ يطلقن رجالهنَّ وكان طلاقهنَّ أنهنَّ ان كنَّ في بيت من شعر حوَّلنَ الخباء ان كان بابه قبل المشرق حوَّلنه قبل المغرب فاذا رأى ذلك الرجل علم انها قد طلقته فلم يأتها كما حدث لحاتم الطائي مع امرأته ماوية ، ونظيره ما ذكر من تطليق أم جندب زوجها امرئ القيس حين حكمت لعلقمة الفحل عليه عند ما تحاكما اليها فيما قالاه من الشعر . وفي هذه القدرة التي كانت للمرأة على تطليق الرجل دليل ناطق بمقدار منزلتها

---

(١) الاغاني ١٤٩ ج ٩ و٢٠٨ ج ١٨

النابغات

في عهد النهضة العربية

أما من نبغ منهنَّ أثناء الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث قبيل الاسلام وعند ظهوره على أثر ما حصل من النهضة في العقول والنفوس فكثيرات في السياسة والحرب والادب والشعر والصناعة والتجارة ، واشتهر جماعة منهنَّ بمناقب جليلة وأتى بعضهنَّ باعمال يعجز عنها كبار الرجال فكنَّ من أكبر العوامل في نهضة العرب ونشر لواء الاسلام باعمالهن وبما ربينه من القواد والحكام والعلماء ، وبما غرس في نفوسهن من الانفة وعفة النفس وهما من ثمار حب الاستقلال ، فقد بلغ من استقلالهن انه كانت لهن الحرية المطلقة في المتاجرة باموالهنَّ والتصرف فيها بلا قيد ولا معارضة فكانت «السيدة خديجة» تتاجر باموالها على يد رجال أمناء تنتقيهم فلما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة عرضت عليه ان يخرج باموالها الى الشام ففعل وقد تزوجته ، وكانت أول من أسلم واكبر عضد ومعين له في نشر الدعوة . ومن الشهيرات مثلها بالعقل والحزم « عائشة أم المؤمنين » فقد كانت من أوسع الناس عقلاً وأشدهم دهاء وثباتاً فترأست حزباً كبيراً من الصحابة وأثارت حرباً عواناً وتأثيرها في مجاري السياسة في صدر الاسلام أشهر من ان يذكر فضلاً عن فصاحتها وعلمها بالحديث والطب ، وقد روي عنها اكثر من الفي حديث وأوصى النبي في حياته اصحابه بأن يلجأوا اليها ليعرفوا ماغمض عليهم من امر دينهم ، يقول (ص) « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » (عائشة) . ومثلها في النبوغ أختها « أسماء بنت أبي بكر » ويدل على علو همتها وعقلها وحزمها حديثها مع ابنها عبد الله ابن الزبير لما يئس من الفوز وهو محاصر بمكة فحرضته على استقبال الموت بشرف وان لا يسلم نفسه لبني أمية فيعيش في ذلهم فخرج وقاتل حتى قتل . ومثلها « الخنساء » الشاعرة الشهيرة فقد حرضت أبناءها الاربعة في واقعة القادسية على الثبات في القتال وسرها ان يقتلوا في سبيل الحق فلما بلغها خبر قتلهم قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ! » ، و « هند » والدة معاوية ابن أبي سفيان وكانت تشهد المواقع وتحرض الناس على الثبات

النابغات في الحروب

وقد أتينا في احدى مقالاتنا في مجلة الهلال على ان النساء في هـذا العهد كن يصحبن الرجال الى ساحات القتال ويداوين الجرحى كما يفعل نساء الغرب اليوم ، فقد انصرفت الكثيرات منهن الى معالجة الجريح واعانة الملهوف فكنَّ اذا شهدن الحرب ورأين الصريع من قومهن يبادرن اليه فيعصبن جراحه ويعالجنه بما استطعن كما حكى التاريخ عن نساء بني بكر يوم التحالق أنهن تقلدن كل واحدة اداوة من ماء في يدٍ فكنَّ اذا مررن بصريع من قومهنَّ سقينه الماء ونعشنه ، ولكنهن في ضد ذلك أخذن هراوة في اليد الاخرى وكن اذا مررن على رجل من الاعداء ضربنه بها واجهزن عليه . بل كن فوق ذلك يخرجن مع الرجال للحرب ويساعدن في الدفاع



امرأة عربية تعين جريحاً وتضمد جراحه

عن المعاقل ومهاجمة العدو ويبثثن روح الحمية بما يلقينه من الخطب والاشعار الحماسية وقد نبغ في أثناء الفتوحات الاسلامية كثيرات أظهرن من البسالة والفروسية ما يعجز عنه الرجال . « فليلى بنت طريف » كانت تبارز الرجال في مواقف القتال ولما قتل أخوها جعلت تحمل على الناس ، و « بكارة الهلالية » كانت فضلاً عن شجاعتها فصيحة شاعرة خطيبة شهدت واقعة صفين ولها فيها مقالات حماسية جعلت من سمعها يتفانى في محاربة الامويين . وكذلك « الزرقاء » بنت عدي فقد شهدت صفين وكانت باسلة بليغة تحرض القوم بخطبها ، و « خولة بنت الازور » كانت

في غاية الجمال والشجاعة أظهرت في فتوح الشام من البسالة ما يقصر عنه الرجال . و « كبشة بنت معدي كرب » كانت فضلاً عن ذكائها وجمالها شجاعة تحضر المواقع وتحرض قومها على الثبات ، وغيرها كثير من الشهيرات في الشجاعة والبلاغة والحماس

وبالاجمال كانت النساء تخرج لتحريض فرسان قومها على الثبات في محاربة العدو وتؤجج في قلوبهم نار الحمية بما تهيجهم به من الاقوال الحماسية والمظاهر التي تلتهب لها الصدور غيرة ، ولا يزال الى الساعة صدى القفر يردد قول الزرقاء « ألا ان خضاب الرجال الدماء وخضاب النساء الحناء » . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد جملة من هذه الاقوال والخطب الحماسية المحفوظة عن اشهر النساء فلتراجع هناك

حياة المرأة الادبية

عند العرب

أول ما أذكر من ذلك سلطتها على القلوب واستيلائها على الافكار حتى كانت مفتتح كل قول ومنصرف كل حديث ، كالبسملة تقدم بين يدي كل كلام بحيث لم يكن من شعر يُنظم الا يقف الشاعر في مطلعه يحيي المرأة تحية خاشع لها خاضع ويصف في مستهلة شوقه اليها صفة هائم بمحاسنها مفتون بمحبتها وجميل أخلاقها ، وما برحوا يعتقدون ذلك فرضاً واجباً عليهم حتى عم ذكر المرأة سائر أقوالهم ومنظوماتهم مهما اختلفت فيها الاحداث النفسانية فصاروا يذكرونها في غير مقام الصبابة وفي حين لا داعي الى ذكرها كاحيان الغضب وطلب الثأر مثلاً مما لا يبقى للنفس فيه محل لرقة القلب ووصف الاشواق ، وقد تملكت هذه العادة كل الخواطر حتى صار النسيب وهو وصف المرأة وذكرها واجباً لا بد منه في مطلع كل قصيدة ولا سيما قصائد المدح كما يشاهد في المنقول من شعر العرب . وزاد المتأخرون تمسكاً بهذه العادة حتى أصبح كل شاعر عندهم مضطراً أن يتعشق ويصف النساء في مقدمة شعره وقد أنكر ذلك عليهم المتنبي بقوله :

اذا كان مدحٌ فالنسيب المقدم اكلُّ فصيح قال شعراً متيم (١)

---

(١) اذا كان لا بد من النسيب والتغزل في الشعر فكل ذي حظ من الادب يؤثر

النابغات في العلم والادب

مجتمعات الرجال والنساء الادبية

أما من اشتهرن بالعلم ونبغن في الادب والشعر في عهد هذه النهضة فكثيرات منهن « سكينة بنت الحسين » وكانت عفيفة تجالس الاجلة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وتأذن للناس فتغص دارها بهم فتأمر لهم بالاطعمة وتطرح على الشعراء الاسئلة في الادب والشعر وتنتقد أقوالهم ، « وعائشة بنت طلحة » وكانت مفرطة الجمال اشتهرت بسعة العقل والتبحر في العلم وقوة الجأش والهيبة . وكانت مع جمالها لا تستر وجهها من أحد [١] لعظم قدرها وكبر نفسها فتجالس الرجال وتباحثهم في الشعر والادب

ممنا طريقة العرب الاقدمين في التشبيب بالنساء وذكرهن في مطالع قصائدهم على هذه الطريقة القذرة التي ولع بها المولدون من التغزل بالغلمان وضروب المحرمات والفسق مما اخذوه ولا شك ممن خالطهم بعد الجاهلية وصدر الاسلام من الاعاجم ، ولينظر اي فرق بين نسيب العرب وبين تغزل المولدين ، فبينما نجد هؤلاء يفتخرون بالعفة اذا بك ترى المتأخرين بخلاف ذلك بالمرة لما صارت اليه طباعهم بعد ان استبحر عمرانهم من التهتك الذي قضي على خلق المرأة العربية ، وتمثيلا للفرق بين الحالين قابل ما قاله عنترة بما قاله ابو نواس

قال عنترة :

واغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وقال ابو نواس :

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

والباعثي والناس قد رقدوا حتى اتيت حليلة البعل

فندر التهتك في غزلهم حتى ان بعض القبائل كانت تعد الغزل رذيلة كما ذكر صاحب الاغاني (ص ١١١ ج ٧)

فترى ان شعر الاولين كان عفيفاً اذا انشدته العذراء في خدرها لم تستحي له بخلاف الثاني مما يرجع الفضل فيه الى تأثير المرأة على افئدة العرب وحفظها لآدابهم

(١) هكذا كانت تفعل النساء الحسان في الجاهلية والاسلام فكن يبرزن للنظار سافرات عجباً بجمالهن أن يستره قبح القناع . وقد عرف ذلك منهن حتى كانت المرأة اذا رؤيت حريصة على التنقب والتستر حكم عليها لاول وهلة انها قبيحة المنظر واعتقد فيها انها انما تقنعت لتنفر الناظر اليها وتوهمه جمالها ولذلك قيل في المثل « ترك القناع من ترك الخداع » . وقد ذكر عمر بن ابي ربيعة عادة النساء الحسان في ترك التقنع فقال من شعر له :

ولما تفاوضنا الحديث واسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وتحضر مسابقة الرماة فيتناضلون بين يديها . ولا عجب فقد كان فيهن مناقب الجاهلية فكن يعقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده ، فكانت المرأة في عهد هذه النهضة على غاية الحرية تجالس الرجال وتخاطبهم وتذاكرهم والعرب لا يرون ذلك منكراً[١] لانهم كانوا على فطرتهم وطبيعة اقليمهم اهل عفة يجتمع النساء بالرجال في المجالس والاندية على غير ريبة حتى في الكعبة فكانوا يطوفون معاً ولا يرون في ذلك بأساً لان العفة كانت غالبة على طباعهم ، فكانت النساء في غاية العفة والحصانة والنزاهة حريصات عن سمعتهن يغرن عليها غيرتهن على شرف أسرتهن ، فكن يرضين بالقتل على قبح الاحدوثة ويؤثرن الموت على فعل ما يغض من ذكر قومهن أو يلحق بهن العار

لا جرم أن اجتماع مثل هذه الخصال الشريفة في المرأة العربية كان له أكبر أثر في رقي العرب واخلاقهم وهو ينم على الآداب القومية ومكانتها في الوسط العربي . وقد اشتهر في ذلك العصر غير واحدة ممن كان يجتمع الرجال عندها للمناشدة أو المذاكرة وهذا يشبه تماماً حرية الافرنج اليوم واختلاط النساء بالرجال ، وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم

اي استخفها الحسن أن تستر وجهها بالقناع ، قال التبريزي في شرح هذا البيت « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلة » . وقد ذكر مثل ذلك الشماخ فقال : « اطارت من الحسن الرداء المحبرا » وكذلك أبو النجم فقال : « من كل غراء سقوط البرقع »

ولم تكن النساء يبرزن حاسرات الا وهن حريصات على التعفف حرصهن على حياتهن وفخرهن فهن كما قال من مثاهن :

برزن عفافاً واحتجبن تستراً وشيب بقول الحق منهن باطل
فذو الحلم مرتاب وذو الجهل طامع وهن عن الفحشاء حيد نواكل

من هذا نعلم أن الكثيرات من النساء كن يبرزن للرجال ولا سيما الفتيات يراهن الراغب في الزواج فيخطبهن عن معرفة ورأى لا عن شهادة ورواية » وقد بقي بعض هذه العادة الى مابعد الاسلام فكان بعض النساء يبرزن للرجال يحدثنهم ويحدثونهن كما ذكرنا هنا عن سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وغيرهما ، وتسمى من كانت كذلك « برزة » . وبعضهن يجلسن لخطابهن كما صرح بذلك ابن عبد ربه في العقد الفريد فيما نقله عن معبد بن خالد الجدلي انه قال خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد وكان النساء يجلسن لخطابهن فجئت لانظر اليها الى آخر الحديث

(١) الاغاني ١٨٣ ج ١ و١٨٤ ج ٧

الادب بلا ريب ولا سوء ظن ، وهناك طبقة من النساء أديبات شغفن بالادب والشعر وحفظه للمذاكرة به في هذه المجالس فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد وبقيت آثار هذه الحرية للمرأة العربية حتى العصور التالية لهذه النهضة فقد كان النساء يحضرن مجلس بشار الذي كان يقال له « البردان »[1] ، والرجال يجتمعون في مجلس « عزة الجمحية » وكانت امرأة اديبة يجتمع اليها الرجال والادباء لانشاد الشعر والمباحثة فيه ، وممن كان يجتمع عندها أبو دهبل الشاعر وهو من اشراف بني جمح وكان لا يفارق مجلسها ومن هناك عرفها وتزوجها[2] كما كان اهل الادب وذو المروءة في العصر العباسي يقصدون مجلس « دنانير » الاديبة المغنية للمساجلة والمذاكرة في الادب والشعر . وهناك غير واحدة ممن جعلن دورهن أندية لاهل الفضل والعلم من الرجال والنساء

بل كانت النساء في عهد العباسيين تلقي الدروس والمحاضرات في المدارس والجامعات والاندية كنساء الغرب اليوم . وقد اخذ الامام الشافعي على جلالة قدره الفقه والحديث عن امرأتين

ولا يسعنا هنا الاستطراد الى ذكر سائر الشهيرات اللواتي كنّ يختلطن بالرجال ويجتمع لديهن كل من نبغ في الادب والعلوم ويعقدن المجتمعات والمجالس التي هي أشبه شيء بما يسميه الافرنج اليوم « Salons » الا اننا نقول بالاجمال ان اجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريب ولا سوء ظن لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي أرقى جمعياتهم

ظلت المرأة العربية على أنفتها وعزة نفسها وسمو منزلتها في ايام الراشدين ، اذ كانت الاخلاق والعوائد لذلك العهد لم تحل بعد بتمامها عما كانت عليه في الجاهلية ، وزاد توسعها في طلب المعرفة اذ اتسع المجال للعقول والمواهب فانصرفت الكثيرات الى العلم والادب ونبغت غير واحدة فيهما حتى فقن الرجال . قيل لجرير : من أشعر الناس . قال : أنا لولا هذه الخبيثة (يعني الخنساء) ! مع ان عصره كان غنياً بفحول الشعراء !

فساوت المرأة الرجل في قول الشعر ان لم نقل أبرَّت عليه في بعض أقسامه فانه

---

(١) الاغاني ص ٤٧ و٤٨ ج ٦ (٢) الاغاني ص ١٥٥ و١٥٦ و١٦٥ ج ٦

أيسر فضائلها وأهون شيء عليها فاني محكماً صادق الوصف قد جمع بين رشاقتها وسحرها وأخذ من صحة آدابها بأجزل قسم ومن رقة فؤادها بأوفى نصيب ، وقد نقل التاريخ أسماء شواعر كثيرات ممن حفظ الرواة شعرهن تضمن منه الجزء الاول وحده من ديوان « رياض الادب » المطبوع في بيروت شعر نحو احدى وستين شاعرة في الرثاء فقط ! فتدبر هـذا ! وجاء ذكر عشرات منهن في كتاب الحماسة وغيره ، وكان أبو نواس وحده يروي لستين شاعرة !

وقد أفرد كثير من مؤلفي العرب لشاعرات هذه النهضة واخبارهن وشعرهنّ كتباً خاصة كما فعل الامام احمد بن ابي طاهر في كتابه « بلاغة النساء » وغـيره ، وبعضهم عقد لها الفصول الضافية في كتبه كما فعل الاصفهاني في الاغاني وابن عبد ربه في العقد الفريد وصاحب نفح الطيب وابن خلكان الخ . نذكر ذلك لمن قال ان مؤلفي العرب قد اهملوا شأن المرأة في الشعر وغيره فلم يذكروا عن احوالها شيئاً الا عرضاً لا يقام له وزن

وحسبنا بهذا العدد العظيم من الشاعرات والاهتمام بهنّ ونبوغ عشرات من الشواعر الكبيرات اللواتي كن في طبقة الخنساء لبيان شأن المرأة العربية العظيم في الشعر والادب . بل كفى دليلاً على رفعة مكانها في الفصاحة وجلالة قدرها في النظم ان اعترف نقدة الشعر بان مراثي جليلة بنت مرة والخنساء لم ينظم بعد احسن منها وان شعر أميمة امرأة ابن الدمينة في العتاب لم يقل ابلغ منه وهكذا ، بل حسبنا ان كان يتقاضى اليها في الشعر فحول الشعراء من الرجال ولا تتعدى ذلك الى ذكر الشواهد الكثيرة لتعريفه بالقدرة الراجحة التي كانت للمرأة على قرض الشعر ونقده . ونبوغ المرأة العربية في الشعر يذكرنا برقيها وعزة نفسها وذكائها اذ الشعر لا ينمو ويزهو الا في ظل الارتقاء ويندر الشعراء البلغاء في أمة ذليلة

فترى ان المرأة قد ازدادت نشاطاً في صدر الاسلام ـ ابان تلك النهضة ـ ولا غرو فقد منح الاسلام المرأة كل الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في القرنين الاخيرين ولا تزال تطالب ببعضها فسبق بذلك الشرع الاسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة الرجل فاعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الامم . وقد ولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب على اسواق المدينة نساء مع

وجود الرجال من الصحابة وغيرهم في حين ان القوانين الفرنسية لم تمنح النساء حق احتراف المحاماة الا من عشرين سنة مضت

ونكتفي بما تقدم عن الاشارة الى من نبغن في عهد هذه النهضة من النساء في الشعر والادب والعلوم لشهرته وخوف التطويل فان المجلدات الضخمة لا تكفي لتراجمهن واخبارهن

هذا هو حال المرأة ورقيها في عصر تلك النهضة وهو عصر المرأة العربية الذهبي فقد ماتت بعده ودفنت مواهبها

انحطاط المرأة العربية

ظل ذلك شأن المرأة العربية حتى أفضت الدولة الى بني أمية فبدأت طباع المرأة في أواسط هذه الدولة تتبدل لان العفة والغيرة اللتين كانتا موضع فخرهم أصابتهما صدمة قوية غيرت كثيراً من طباعها لشيوع التسري بينهم وتكاثر الجواري الجميلات والغلمان وانتشار الموبقات والمسكر وإركان العرب الى الترف ومفاسد التحضر وقد زادوا انغماساً في القصف والخلاعة لما استبحر عمرانهم في العصر العباسي فآل ذلك الى ذهاب الغيرة وفساد النية بين الرجل وامرأته لتشتت عواطفه وميوله بين عدة نساء بعد ان كان لا يعرف غيرها وهي لا تعرف غيره فقلت غيرته عليها وذهبت ثقتها به لانشغاله عنها اللهم الا من عصمها عقلها وشرفها . ولم ينضج التمدين في هذا العصر حتى توسيت المرأة العربية في المدن وذهبت حريتها وغيرتها وصارت هي تهدي زوجها الجواري

وفي ذلك العصر أمر المتوكل ـ نيرون العرب ـ بفصل النساء عن الرجال في الولائم والحفلات العمومية بعد ان سبقه خالد القسري أمير مكة في خلافة سليمان ابن عبد الملك الاموي بالتفريق بينهم (بين النساء والرجال) في الطواف بالكعبة [1] وبعد ان استخدموا الخصيان في عهد معاوية آخذين ذلك عن الروم كما ذكر الامير علي واقتبسوا نظام الحريم في عهد الوليد الاموي الثاني . الا انه بالرغم من ذلك بقي النساء يختلطن بالرجال حتى القرن السادس وكن يقابلن الزوار ويعقدن المجالس

(١) المسعودي ١١٦ ج ٢

كما مر ، وبالرغم من هـذا أيضاً نبغ في عهد هـذا التمدين كثيرات ممن اشتغلن في الاداب والعلوم فلم تكن المرأة المسلمة على ممر القرون والاجيال بمعزل عن الحياة الادبية بل اشتهر كثير منهن بالتعمق في العلوم ، ونبغ عدة نساء في السياسة والصلاح والدهاء والتأثير في سياسة الدولة « كالخيزران » و« زبيدة » و « بوران » و « قطر الندى » التي استلمت زمام الدولة بالنيابة عن ولدها وكانت من أبرع النساء في الفنون والآداب فاحسنت سياستها ونظمت شؤونها وكانت تقابل الوفود والسفراء وكان مجلسها غاصاً دائماً باهل الادب والعلم رجالاً ونساء . ناهيك بالسيدة « أم المقتدر » وأم « المستعين » و « صبيحة » ملكة الاندلس و « شجرة الدر » ملكة مصر وغيرها ممن اشتهرن بالسطوة والنفوذ والتسلط في الدولة والتأثير في سياستها في الشرق والاندلس والمغرب

ولما اضمحل شأن الخلفاء ومزق التتر شمل الدولة العربية قام العلماء يتجادلون في « هل الاليق بالنساء أن يظهرن ايديهن او اقدامهن » ! فساد الجهل وأنتشر الفساد وافضي كل ما تقدم الى انحطاط المرأة وذهاب حريتها وغيرتها وانحطت نفسها وذهبت انفتها واستقلال فكرها فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعاشرها على غل وسوء رأي ، يقفل عليها الابواب والمنافذ ، وأصبح الطعن في طباعها وسوء سريرتها شائعاً على الالسنة حتى ألفوا فيها القصص والروايات ونظموا فيها الشعر وتفننوا في وضع الجمل الحكيمة والعبارات البليغة في تحذير الناس من المرأة وعدم الوثوق بها

والخلاصة دفنت مواهب المرأة العربية التي كانت لها في عصرها الذهبي ولم تحاول النهوض من تلك الكبوة الا في هذا العصر وعلى الاخص في هذا التطور الاخير الذي سنأتي على تفصيله

نهضة المرأة المصرية الحالية

ومظاهرها

لا يمكننا معرفة حال المرأة اليوم وتقدير هـذه النهضة النسائية الحالية الا اذا عرفنا حالها في الماضي وعلى الاخص في العصر السابق لهذه النهضة وماكانت فيه من الجهل والاستعباد حتى اذا قارنا بين الحالتين تبينت لنا جلياً حقيقة تطورها وعلمنا قيمة هذه النهضة . تلك قاعدة البحث في الموضوعات الاجتماعية والتاريخية . ولقد أتينا على تاريخ نهضة المرأة العربية لنقف منه على التشابه بين النهضتين فلنأت الآن على مجمل حال المرأة قبل النهضة لتعرف منه ما أردناه من المقابلة

حال المرأة قبل النهضة

اذا أرسلنا نظرة الى ماضينا القريب وجدنا أن المرأة الشرقية عطلت من حلية العلم والتربية . فقد زادت المرأة حطة في الاجيال الاسلامية الوسطى كما تقدم تبعاً للتقهقر العام فاشتد الحجز عليها حتى انحطت أخلاقها وصارت الى ما يروى عنها في الف ليلة وليلة . فان في هذه القصة الخيالية مبالغات كثيرة لكنها تمثل الآداب الاجتماعية في تلك العصور المظلمة ، وتدل على سوء ظن الرجل في المرأة أو سوء الظن المتبادل بينهما ، بل تدل دلالة صريحة على ان الحجاب لا يمنع وقوع الفساد والخيانة . وقد تساوت في ذلك الانحطاط المرأة المسلمة وغير المسلمة من نساء الشرق الاسلامي . ففي مصر كما في غيرها من بلدان الشرق ، قضت المرأة المصرية « من مسلمة وقبطية ومن عاشرها ، مدة الاجيال الوسطى وهي مظلومة محبوسة محتقرة جاهلة ، يسوقها والدها كالبهيمة الى زوج لا تعرفه ولا تعرف شيئاً من أحواله » فتبقى محجوبة في بيوت كالسجون لا يدخلها النور ولا الهواء أسدلت الاستار على منافذها وأحكمت الاقفال على أبوابها ، حتى لقد عدوا من مفاخرهم ان لا تخرج المرأة من خدرها الا محمولة الى قبرها ! واذا خرجت لا تخرج الا مخفورة أو منقولة في المحفات متحجبة متبرقعة ملتفة بالاكفان كما وصفوها ، فكان البيت سجنها المؤبد لا تنظر الى الطرقات الا من خلال النوافذ الضيقة أو من بين أستار

العربة ، ولا تعرف من العالم الا الخرافات التي تسمعها من العجائز فاذا رأت برقاً ظنته شرراً يتطاير من عيون الجان أو سمعت رعداً خالته دبدبة خيول العفاريت ، تعمد الى النحاس تدقه عند خسوف القمر تخويفاً للحوت الذي ابتلعه ! وهكذا اضلت المرأة عقلها في ظلمات الاجيال الماضية وظلمات الجهل والسجن المؤبد الذي بقيت فيه حتى فقدت رشدها وسلبت حريتها وصار من المستحيل عليها ان تمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية ، اذ جعلت في حكم القاصر لا تستطيع أن تباشر عملا ما بنفسها مع أن الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها الماشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل ، وصارت سجينة مع ان القوانين تعتبر لها من الحرية ما تعتبره للرجل . وبالاجمال صارت المرأة لا شيء وسلبت كل شيء فلا رأي ولا فكر لها في الاعمال ولا قدم في المنافع العامة ولا ذوق في الفنون ولا فضيلة وطنية أو شعور ملي ، كل ذلك والناس سكوت لان القرائح جامدة والنفوس ميتة بما توالى عليها من فساد الاحكام وتفشي الجهل وبما رسخ في أذهانهم من ان تعلم المرأة وعفتها لا يجتمعان ! وبلغت المرأة غاية ذلك في القرنين الاخيرين قبل النهضة فاصبح عقلها بفضل الجهالة والبطالة والسجن خزانة اوهام وخرافات ومخاوف فانحط شأنها كل الانحطاط حتى ظن غير العارف من كتاب الافرنج ان ذلك من فطرة طبيعة الشرقيين الاصلية !

فلما توسط القرن الماضي وأخذ القوم بأطراف التمدين الحديث واستنارت العقول بالعلم وزاد الاختلاط بالافرنج والاقتباس عنهم انتبه العقلاء الى المرأة وعلموا تأثيرها في هيأتهم الاجتماعية فاصبحوا لا يرضيهم أن يكون لها فم يأكل ولا يتكلم فاذا خاطبها رجل تلعثم لسانها أو ساومها بائع باعها القطن حريراً والنحاس ذهباً . فاخذوا يفكرون في اصلاحها وطفقوا أولاً يتهامسون بذلك تهيباً من مقاومة الرأي العام وتيار العامة ثم تصدى بعضهم للمجاهرة به فلاقى أشد المعارضة والنقمة حتى تهيأت الاذهان قليلاً لنصرتها وتعليمها

ابتداء النهضة النسائية

بدأت النهضة النسائية في مصر منذ ربع قرن اذ اهتم المصريون بتربية البنات وكانوا قد ابتدأوا يشعرون بسوء حالتهم الاجتماعية فاخذوا ينشئون المدارس بعد حث

طويل وسعي متواصل . ومكث الكتاب يكتبون ويؤلفون والخطباء يخطبون ويحثون على تغيير قديم مصر بجديد ، وظل المفكرون الاجتماعيون السنوات العديدة يبحثون في مسألة المرأة وحجابها وتخفيفه الا أنهم لم يدركوا غاية ولم يصلوا الى نهاية فلم تخرج آراؤهم الى حيز العمل حتى ظن أن هذا القديم الذي يحاربونه ما كان الا ليزداد قدماً على قدمه وأن المرأة لن تخرج بعد من الحجر الذي سقطت تحته . الا أنه بالرغم من ذلك ابتدأت نهضة المرأة المصرية من مسلمة وقبطية في ظروف وأحوال مختلفة فنبغت المتعلمات والشاعرات اللواتي استرعين الاسماع واجتذبن الافكار برقة تعبيرهن وحسن بيانهن . وبين هؤلاء اللواتي كسرن قيود الحجاب من نساء القاهرة بالامس كاتبات في الصحف وخطيبات على المنابر كارقى الامم المتمدينة لكنهن كنَّ قليلات لا يزيد عددهن على عدد اصابع اليد الواحدة

ذلك كان حال المرأة المصرية الى هذه السنين الاخيرة التي ارتقى فيها التعليم وكثر عدد المتعلمات تخفت فيها نوعاً سلطة الرجل على المرأة تبعاً لتقدم الفكر ، وخف الحجاب قليلا فصرنا نرى كل سنة جزءاً منه ينهار من نفسه حتى صار في السنتين الاخيرتين غير ما كان من عشرين سنة . وحدث في العائلات بعض التغيير فشاهدنا النساء يخرجن لقضاء حاجاتهن ويترددن على المتنزهات وغيرها ويتعاملن مع الرجال بانفسهن ، وقد استعدت عقولهن لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والاباطيل التي كانت تفتك بعقولهن وكان بقاؤهن في الجهل حرماناً من الانتفاع باعمال نصف عدد الامة بل كان من اكبر أسباب ضعف الامة حرمانها من اعمال النساء

وقد ظهر في الايام الاخيرة جهاد المصلحين وسعيهم في رفع شأن المرأة وتعليمها فتخرج من مدارس البنات عندنا على قلة استعدادها ونقص وسائل التعليم والتربية فيها عدد من السيدات المتعلمات لا يستهان به أخذ يسعى لرقي المرأة وارادها موارد التعليم والتهذيب . وبين هذا العدد كثيرات من القائمات بهذه النهضة النسائية نبغن في فنون مختلفة وقمن باجل الامور والاعمال التي سيشهد بها التاريخ ويخلد ذكرها باطيب الثناء

اسباب
تطور المرأة الاخير

ان النهضة الحالية جعلتنا على رأس عقدة تاريخية نبدأ بها اول دور من عهد تاريخي جديد ونختم بها آخر دور طوى بساطه على ما فيه . وهذه النهضة كسائر النهضات روحها والعامل الفعال فيها والمحرك لها هو ذلك الكمال الذي تنشده الجماعات والذي كشفت الحرب العظمى الاخيرة عن مجراه فاظهر في الشرق وعلى الاخص في مصر صور الوطنية والمشاعر القومية الخالية من شوائب التعصب الديني والتعصب على النساء بل كان تطلبه عندنا سبباً في فك عقولهن من عقالها وتطور حالتهن من الجمود القديم الى الحياة الصحيحة

وذلك أنه لما احدثت هذه الحرب الضروس ذلك التطور الهائل في جميع الانحاء وانبعثت انوار الحرية الساطعة في كل مكان وكان للمرأة في البلدان المختلفة دور لا يقل شأناً عن دور الرجال وصلت الهزة الكهربائية الى نفوس نسائنا وكن قد رأين شقيقاتهن الاوربيات في اثناء الحرب يناضلن ويسعين لخدمة وطنهن ومساعدة ابنائه في الانسانية ويعملن لتخفيف ويلاتها وتضميد جروحها ثم سعين ببلوغهن منصات النيابة واعتلاء المراتب فهيأت هذه الهزة نفوسهن التي تكونت وجعلتها على استعداد للانفجار والخروج من الجمود القديم عند اول حركة أو حادثة تثير عواطفهن وتنبه أذهانهن فتظهر ما كان كامناً في نفوسهن وقد أخفاه الضعف بالامس فاظهره اليوم الانتباه واليقظة . ولذلك كان من نتيجة التطور الفكري ان قامت نساؤنا قومتها ملقيات عنهن اعباء ذلك الثوب القديم تشاطرنا الشعور والعمل . بل ما كادت تظهر حركتنا التاريخية الاخيرة حتى برزت فيها السيدة المصرية من خدرها وقد وجدت انه قد حان لها أن تعلن شعورها القومي وعواطفها وأمانيها نحو بلادها فنزلت في ميدان السباق فادهشت العقول وخلبت الالباب بما اظهرته من ادلة الحياة ومعرفة الواجب فاشتركت مع الرجال في جميع الامور الاجتماعية والسياسية الهامة مما جعل السيدات المصريات في نظر الاجانب موضع الاجلال والاحترام . والمتدبر لتطور حال المصرية السريع يرى ان الخطوات التي خطتها في ايام معدودة تعادل ما خطته في نصف قرن

ولا غرو فان حركة سياسية خطيرة كحركتنا هي بمثابة شوط تعدوه المرأة في

سبيل الاصلاح ، وهذا ما ظهر في نهضتنا النسائية الحديثة من أثر الشعور الوطني العام والتطور الخلقي الفجائي فقد تناولت حركتهن الشطر الاكبر من العادات القديمة فبدلتها التبديل الذي كنا ننتظر بزوغ فجره وطلوع شمسه حتى رأى الخبيرون باحوالها والباحثون في شأنها فرقاً شاسعاً وبوناً بعيداً بينها امس واليوم

وانا لنشكر لتلك الايام العصيبة ولتلك الحوادث المحزنة التي أدمت قلوبنا وتكرر وقوعها بين ظهرانينا في الشهور الاخيرة لانها كانت العامل الذي أثار في قلوب السيدات عوامل الغيرة وهيج من بين عواطفهن عاطفة الاتحاد والتضافر والتفاني في محبة الوطن ، نشكر لتلك الاحوال التي استفزت نساءنا فحركتهن فيها صيحات الحرية واخرجتهن الى حياة نشيطة خليقة بها نساء أمة هي مهد المدنية قد ضربت في تاريخ الحضارة بسهام نافذة . ولن يطرب الانسان في هذه الحياة طربه لتلك النهضة المباركة التي لم يدفعها الى هذا الميدان غير الشعور الوطني فقامت فيها المرأة من سباتها وخلعت عنها رداء الخمول وظهرت بهذا المظهر الجليل فكذبت أولئك الروائيين والمتطرفين الذين كانوا يتخيلونها وراء الحجب على تولد تخيلاتهم وتصور افكارهم ويصفونها بالعضو العاطل أو الخامل ويعزون اليها الجهل وعدم المبالاة بالحالة الاجتماعية . فهذا الانقلاب السريع والتطور الغريب أزاح عنها نقاب الانحطاط والاوهام التي رميت بها ، وأسدل ستاراً كثيفاً على تلك الصفات والخيالات التي صوروها فيها . واذا ذكر الكاتب أو المؤرخ حسنات هذه الايام فليذكر المرأة المصرية وارتقاءها الى مقامها في الهيئة الاجتماعية الشرقية فان في نهضتها خطوة كبرى فيها كل السعادة للامة بأسرها بل هي تمهيد لكل اصلاح ورقي نرجوه للبلاد وفاتحة عهد جديد وعصر ذهبي تلعب فيه المرأة ادواراً هامة مع الرجال وتسترجع مركزها ومجدها الماضيين وتعيد تاريخها المجيد الذي امتلأت صفحاته بمفاخرها فتمثل للعالم ادوارها المشهورة ابان نهضتها القديمة قبل الاسلام وبعده وفي عهد الخلفاء على ما بيناه ، وقد كانت فيها المحور الذي تدور عليه حركة العالم باسره

والخلاصة ان تعليم المرأة المصرية وتطلعها الى اعمال المرأة الغربية ودورها الذي لعبته اثناء الحرب أثر في نفسها وهيأها لنهضتها . ثم كان من نتيجة التطور الفكري والحركة السياسية وحوادثها وصيحات الحرية والشعور الوطني ان أظهر كل ذلك ما كان كامناً في نفسها فايقظها ونبه ذهنها وأثار عواطفها

فكان لكل عامل من هذه العوامل تأثير كبير في نفوس نسائنا ساعد على نهضتهن اليوم . وترى من ذلك أن هذه النهضة طبيعية اذ هي نتيجة أسباب قد استوفت حظها من النمو حتى بلغت غاية لم يكن بد من ظهورها في الشكل الذي سنأخذ في تبيانه ، بل هي قائمة على اساس صحيح هو الاستعداد للكمال وقبول الترقي كما ترى فيما يأتي

مظاهر النهضة

ان مظاهر هذه النهضة كثيرة فان المرأة لم يمنعها الحجاب عن اظهار شعورها ومشاركة الرجل في جميع ما يفرضه الواجب الوطني من مهام الحياة وخدمة القضية



النساء في مظاهرات القاهرة

المصرية فوقفت مواقف الرجال لاول مرة وهي في كل يوم تزداد نشاطاً وهمة وعملاً واشتراكا في شؤون بلادها

وقد تقلبت هذه النهضة النسائية حتى الآن في دورين أو طورين :(الاول) طور المظاهرات واظهار العواطف بالخطابة والكتابة وتأليف الوفود وجمع الاعانات وغيرها . و (الثاني) طور الجد والعمل واصلاح شأن المرأة المصرية بتأليف الجمعيات

الدور الاول

١ ــ مظاهرات النساء

هذه المظاهرات هي أول مظاهر النهضة النسائية واول مجهود للمرأة في الحركة

الاخيرة . فكان من نتائج حوادثها ان شاطرت النساء الرجال في مظاهراتهم السلمية واشتركن في الشؤون العمومية والسياسية ففمن بمظاهرات ثلاث اظهرن فيها من ضروب الحماس الوطني والشجاعة والشعور المتدفق ما دل على ان المصرية ليست هي تلك السجينة الجاهلة التي لا تحس بتقلب الشؤون وتطور الشعور بل هي التي قد فتحت عينيها لنور الحياة :

المظاهرة الاولى : قامت بها سيدات من أرقى الاسر المصرية فطفن في سياراتهن على الدور الرسمية ودور المعتمدين السياسيين وتظاهرن أمامها

المظاهرة الثانيـة : هي التي منعتها السلطة العسكرية عن المسير وكانت المتظاهرات من أشرف عقائل البيوتات المصرية

المظاهرة الثالثة : اشتراكهنّ في مظاهرات السرور بأباحة سفر الوفد المصري وهي التي قالت عنها التيمس : « واشتركت النساء في هـذه المظاهرات وما كنّ من قبل يهتممن بالامور السياسية غير انّ ما حدث في مصر أخيراً دفع كل مصري ومصرية الى الاهتمام بالحركة المصرية ، وقد خطبت النساء أمام قصر السلطان »

هـذه هي المظاهرات الحكيمة السلمية التي قامت بها سيدات القاهرة اظهاراً لشعورهنّ الحي الراقي نحو وطنهنّ المحبوب . هذا فضلاً عن مواكب الفتيات المنظمة التي الفتها تلميذات المدارس ومعلماتهنّ في العواصم والمدن وطفنَ بها يهتفنَ لمصر وآمالها . وهذه المظاهرات النسائية السياسية هي أول ما عرف من نوعها في تاريخ مصر . ونحن لا يسعنا الآن تفصيل الكلام على هذه المظاهرات الثلاث بل نكتفي بوصف أعظمها وهي المظاهرة الثالثة وما فيها من الملاحظات التاريخية والاجتماعية

المظاهرة الثالثة العظيمة

كانت هذه المظاهرة أعظم واكبر مظاهرة رؤيت في العاصمة ، وسيظل يومها ، وهو يوم الفرح العظيم ، مذكوراً في تاريخ القاهرة . فقد لبست مصر فيها حلة العيد واشتركت في الابتهاج بهذا العيـد العام الطبقات المصرية كافة فهرعت السيدات والفتيات الى مشاركة الرجال والوقوف الى جانبهم . ففي وسط هذه الجماهير الكثيفة والمواكب العظيمة التي غصت بها الشوارع والطرقات وكل مكان في القاهرة كانت تلتقي مواكب النساء بمواكب الرجال وتتدفق في الميادين وهي تموج بالخلق على

رحباتها ، والسيدات يحيين الطلبة ويشاركن الرجال في الهتاف والطواف وترديد الدعاء بين أصوات الفرح وألحان الموسيقات والاناشيد والاغاني التي كانت تمتزج بالتصفيق والهتاف لهن والاعجاب بوطنيتهن ، وهن يلوحن بالمناديل البيضاء وقد شاركن الجماهير في حمل الازهار والاغصان الخضراء ورفع الاعلام الحمراء التي كانت تخفق على رؤوسهن حتى كان يخيل الى الرائي انه في وسط حديقة فيحاء متنقلة أزهارها الاعلام وارجها الوطنية . وقد كانت جميع طبقات السيدات المصريات ممثلة في هـذه المظاهرات فاشتركت فيها المسلمات والقبطيات من كرائم العقائل وارقى البيوتات في عرباتهن الفخمة وسياراتهن الفاخرة المجللة بالازهار والاعلام المصرية الى أفقر النساء في المركبات العامة ، فررن بين المتظاهرين والجماهير تحييهن تحية الاكرام والاجلال



مشهد آخر للنساء في مظاهرات القاهرة

وبقال بالاجمال خرجت كرام السيدات بل السيدات على اختلاف طبقاتهن في المركبات ومما يلاحظ في تلك المواكب أن خروج السيدات المصريات وهن من العائلات الكبيرة كما تقدم كان في مركبات وعربات غير مقفلة كما كانت العادة إما منفردات أو مع ذويهن من الرجال (ولم يكن من الجائز قبل ذلك أن يركب الرجل مع زوجته أو والدته في عربة واحدة) والى جانبهن نساء العامة يعبرن عن فرحهن بالدعاء والغناء وغيره . فكان المنظر مؤثراً يستمد منه أقوى برهان على اتحاد الامة المصرية باسرها ، فقد تجلت دلائل هذا الاتحاد والاخاء في تلك المواكب فكما كانت الجمعيات الاسلامية الى جانب الجمعيات القبطية والصليب الى جانب الهلال كذلك

كانت السيدات في السيارات الى جانب النسوة في المركبات العامة وشعار الجميع : الاخاء والحرية والمساواة

ومن المشاهد النسائية التي شاهدناها ان النسوة الوطنيات اللواتي هن من



(مظاهرات السيدات)
منظر اشتراك السيدات والاوانس والبنات مع اخوانهن الطلبة والرجال في المظاهرات وهو من المناظر المألوفة يومئذ

الطبقات غير المتعلمة لم يقصرن في شيء مما يستطعن القيام به تشبهاً بالمتعلمات فقد كنّ يحملن الاعلام وينادين بالدعاء لمصر والوطن ويهتفن للنشأة وبعضهن يزغردن والبعض الآخر يطبلن . ومع كل هذا فكان الادب والنظام رائد الجميع فلم تبدر من

احداهن كلمة تجرح أو تسيء على الاطلاق ، بل تبين من نظام هـذه المظاهرات أن المصريين ليسوا أقل من الاوربيين في المحافظة على الآداب الاجتماعية ومعرفة الواجب في احتفالاتهم مهما بلغ من كبرها . فانه مع كثرة الزحام لم يقع من شخص واحـد ما يخالف القانون ، بل مع اختلاط النساء والرجال العظيم لم يقع اقل حادث يخل بالآداب

وقد زاد اشتراك السيدات في فخامة المظاهرات وبهجتها . وهذه اول مرة تشارك المرأة المصرية الرجل في عواطفه الاجتماعية وتشترك معه في الشؤون السياسية والاعمال العامة كما قال صديقنا الشاعر الكبير عبد الحليم المصري :

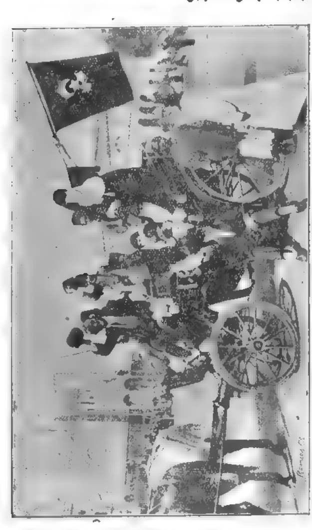
وأرى النساء تسير تحت غشـاوة دون العيون فـما يلحن جـلالا
يهتفـن في مصـر لاول مـرة بـين الرجال ويشـتركنَ فعـالا

وقد كانت مخبوءة في دارها لا رأي لها ولا فكر في الاعمال ولا قدم في المنافع العامة ولا عاطفة وطنية أو شعور ملي ، فكانت مغسولة الشعور من الحمية التي تثور في انفاس الرجال . بل هـذه اول مرة في تاريخنا تختلط فيها النساء ، من اكبر العائلات الى اصغرها ،مع الرجال فتحيي المرأة الرجل ويحييها ويهتفان للوطن معاً ، ومن الغريب ان يخرج الرجل واهل بيته من نساء وفتيات في الطرقات يتظاهرون ويهتفون ويخطبون وما كان يجسر منا قبل ذلك من يصحب حرمه أو أصغر بناته في غير البيوت أو في العربات المقفلة مما دل على أن المصريين قد نسوا انفسهم امام الواجب والشعور الوطني فاصبح الرجال والنساء في صعيد واحد يتبادلون العواطف الوطنية .

وما كان يظن أن التسامح يبلغ من نفوس المصريين هذا المبلغ بل من كان يظن ان ذلك الجدل الكلامي المصنوع الذي كان بالامس يتلاشى امام الحقائق العملية التي انتجتها الحوادث المختلفة تمشياً مع حكم الطبيعة كما تقدم ، فنرى اشد انصار القديم جموداً يسير في المظاهرات جنباً الى جنب مع امرأته او ابنته وهم يصيحون جميعاً بصوت واحد يحيون الناس والناس يحيونهم ، ولا يدهشنا ان نري هؤلاء الانصار يعجبون بمظاهرات السيدات ويصفقون لهن متحمسين

ولقد تجلَّت وطنية السيدات المصريات في هذه المظاهرات فرأيناهن يتقدن حماسة وغيرة برهنَّ بها على حياة جديدة وأملين على العالم المتمدن عواطفهن السامية ومداركهن العالية فكانت ظاهرة تدل على نهضة يطيب خبرها ويحمد أثرها

وبالاجمال فني هذه المظاهرات من دلائل الانقلاب والنهضة ومظاهر الحياة المتدفقة بين مختلف طبقات نسائنا ما يخلد في صحائف تاريخ مصر الحديث مع التكريم لعواطفهن والاعجاب بشعورهن ووطنيتهن



(مظاهرات السيدات)
خروج سيدة مصرية مع افراد عائلتها في مركبة للتنزه في المظاهرات وقد رفعت كريمتها العلم المصري ورفعت الطفلة علماً صغيراً آخر ورفع الأ خرون طرابيشهم هاتفين للوطن

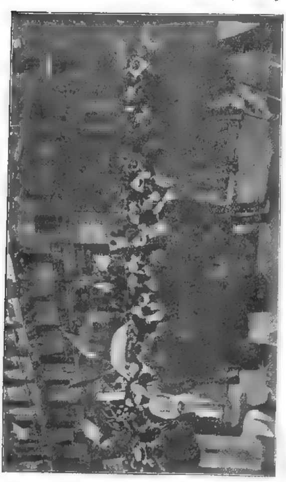
٢ ـ خطابة النساء

لم تكتف المرأة المصرية ، من سيدة وآنسة ، بان حسرت الستور وزايلت القصور والدور لتشارك الرجل في المظاهرات العامة السياسية ، ولم تقتصر على التظاهر بالهتاف والطواف والتلويح بالرايات والمناديل واشارات التشجيع والتحية للمتظاهرين فقط على ما فصلناه ، بل آلت على نفسها ان تشترك بالفعل (علماً وعملاً) في هذه المظاهرات كالرجل وأن تأخذ بقسطها من الخطابة فتباري الرجال في ميدان الفضل والآداب وايقاد الحماسة في الصدور

تلك اعجوبة الحركة الوطنية التي ابرزت هذه النهضة النسائية واظهرت المرأة المصرية المحتجبة وراء الجدران والستور هذا الظهور الفجائي فوق المنابر وفي الميادين العامة تخطب الرجال والنساء بشجاعة وطلاقة . ففي المظاهرات وقفت السيدات تخطب بجرأة في الميادين والطرقات وامام الدور الرسمية وفي كل مكان ، في المتظاهرين والمتظاهرات والجماهير المحتشدة حولهن ، في المواضيع السياسية والعمومية ، فكان لكلامهن البليغ وخطبهن الرائقة وقع عظيم في النفوس زاد به تحمس الناس . ولقد رأينا السيدة والآنسة تخطب فتفذ بالرجال ، وما كنا نظن المصرية التي كانت تمثل باقبح أمثلة الخلاعة والجهل كما تقدم ، قد بلغت هذه الدرجة الراقية من العلم ورقي الشعور والعواطف

ولم تقتصر السيدات على الخطابة في المظاهرات فقط بل رأيناهن قد ارتقين منابرها في المجتمعات الوطنية والحفلات الخيرية (كما في حفلة ملجأ الحرية بدار الاوبرا) وفي الجوامع والكنائس وفي الوفود وغيرها كما سيأتي . وهذه اول مرة في تاريخنا تخطب النساء في الكنائس والجوامع . ثم رأيناهن في جمعياتهن يقرعن الاسماع بالدرر الزاهية والخطب البليغة ، ومن ذلك مثلاً اجتماع السيدات (جمعية المرأة الجديدة) بجامع السيدة زينب وهن قبطيات ومسلمات وخطاباتهن الواحدة تلو الاخرى في مقصوراتهن والناس حولها يسمعون . ومثل هذا الاجتماع كثير مما سيأتي ذكره ، وترى منه أن الجوامع والكنائس قد صارت مأوى للعبادات واتحاد الملل . وابلغ من هذا وقوف خطيبة اسرائيلية في الازهر الشريف تخطب في الناس ! وقد رحب بها العلماء وقام أحدهم فالقى نبذة في تاريخ الاسرائيليين وعلاقاتهم بالعرب

وقام أحد القسيسين الاقباط فرحب بهـا أيضاً وبقومها . ! وهذه الحادثة فريدة في بابها وهي بداية حيـاة جديدة في مصر والمصريين اذ من الجديد فيها أن تقف سيدة اسرائيلية للخطابة في هذا المعهد الشريف !



سيدة مصرية واقفة على مرتفع في ميدان الاوبرا يوم المظاهرات (يوم ١٨ ابريل) تخطب في الناس خطبة وطنية وتحضهم على الاتحاد والعمل على رفع شأن الوطن

(انظر مكان العلامة ×)

وكم اعجب الناس ، خاصتهم ومتنورهم ، بمن ارتقين المنابر من السيدات في هذه المجتمعات وقدرتهن على الخطابة وبلاغتهن وتضلعهن في التاريخ والدين واللغة ، وما كان يظن أن السيدة المصرية قد بلغت من الادب العربي وقوة الفكر هذا المبلغ العظيم .ولا

يسعنا هنا تعداد كل المواقف التي اعتلت فيها السيدات المصريات المنابر للخطابة وتفصيل الكلام عليها فان هذا مما يضيق عنه المقام ، وفي القدر الماضي ما يقوم بالاشارة الى ذلك ويكفي لتبين أن خطابة السيدات في نهضتهن هذه تشبه تمام الشبه ما قدمناه عن سالفتهن المرأة العربية . فقد سبق أن نساء العرب أبان نهضتهن حتى في عهد الخلفاء الامويين والعباسيين كن يخطبن في الجمهور في المواضيع السياسية والاجتماعية والعلمية على نحو ما نرى من خطيباتنا وخطيبات أوربا وأميركا اليوم . وليس هذا فقط وجه الشبه بين النهضتين بل هو عام فيهما ، فكما شاطرت المرأة العربية الرجل كل عمل في عهد نهضتها حتى الشؤون والاعمال السياسية والاجتماعية والحربية فضلاً عن الخطابة والكتابة والشعر والادب وغيره ، كذلك فعلت المرأة المصرية في نهضتها الحاضرة

ولا اذكر أو اتخيل مواقف الخطيبات العربيات وبلاغتهن وشجاعتهن وأثرهن في قومهن ، أو اقلب صفحات خطبهن ومقالاتهن الحماسية المحفوظة في كتب الادب والتاريخ حتى اذكر خطيباتنا في المظاهرات وغيرها واتخيل مواقفهن ومقالاتهن الحماسية الرائقة التي كن يلقينها في المتظاهرين والسامعين فتنفخ في الصدور روحاً جديداً وتجعل من يسمعها يتفانى في حب وطنه مما سيسجله لهن التاريخ في صفحاته باجمل الثناء والفخر كما سجل اعمال سلفهن الصالح وحفظ خطبهن البليغة حتى اليوم

٣ ـ كتابات النساء

كما ظهرت السيدة المصرية في الخطابة محررة العقل مطلقة الفكر تشاطر الرجل عملها ونفسها كذلك ظهرت في الكتابة والصحافة . فانه ما كاد يحدث هذا التطور وتظهر النساء في ميدان العمل حتى انفكت عقولهن الكامنة من عقالها وذهبت عنها آثار السكون والقعود فنشطت وانطلقت من محبسها الى مجال التفكير والبحث والنظر وابداء الرأي بغير وجل أو تحرز . فاخذن ، من سيدات واوانس ، يظهرن عواطفهن على صفحات الجرائد وصرنا نرى صوت المرأة ، ذلك الصوت الملائكي كل آن في ارتفاع ، ونسمع ذلك التغريد اللطيف كل يوم في ازدياد . وقد أفسحت الصحف لكلماتهن الطيبة صدرها فملأن أعمدتها بالاراء المتنوعة والاقتراحات والمطالب المختلفة التي جادت بها قرائحهن فيما يراد به النهوض الى مستوى الكمال الادبي والاخلاقي . فمنهن من تبدي اقتراحاً لانشاء ملجأ للمنكوبين والمحتاجين ، ومنهن من تنادي بوجوب

تعليم المرأة المصرية التعليم الصحيح والتربية القويمة ، وهذه تحث المحسنين على انشاء المدارس والملاجىء وتأليف جمعيات الاحسان ، وتلك تقترح على اخواتها السيدات عمل الاشغال اليدوية والتطريز للاعمال الخيرية وبيعها في سوق خيري تباع فيه الازهار والرياحين ويخصص دخله لاحد الملاجىء ، واخرى تعالج المواضيع الاخلاقية وتنتقد العادات والاخلاق السيئة (كالزار وغيره) وتنصح بالتمسك بجميلها مما يتفق مع رقي مظاهر هذه النهضة ، وغيرها تقترح انشاء مجلة للسيدات تنشر ما تجود به قريحة الفتاة المصرية وما يعن لها من المباحث العلمية والاجتماعية والعمرانية ، الى غير ذلك من الآراء والاقتراحات الجليلة المفيدة التي قد أحلها أهل النظر محلها من الاعتبار .

وكل هذه الاقتراحات ، وبعبارة أخرى هذه الاماني التي جاشت في الصدور وأخذت تتراكض وتتزاحم في صور مطالب واقتراحات تترى كل يوم ، انما هي بالطبع نتيجة لازمة للتطور الفكري الذي اندفع مرة واحدة لالتماس ضروب التحسين في كل حالة من حالاتنا الاجتماعية ، وبالاجمال قد أحدثن حركة قلمية في اكبر المسائل الاجتماعية لا يسع المتتبع لها الا الاعجاب بالتشجيع العام الذي لقته المرأة المصرية من رجال الصحافة وسائر المفكرين وحملة الاقلام حتى العلماء ورجال الدين وتنشيطها على الكتابة واجماعهم على وجوب ظهورها في ميدان الحياة ، كما لا يسعه الا الثناء على نشاط فتياتنا المصريات وغيرتهن العظيمة التي يبدينها نحو خير وطنهن والاعجاب بتلك الروح الجديدة الكريمة وذلك الدم الحديث الذي سرى بهن فخرجن لعالم الوجود يتشاطرن جليل الآراء . والمطلع على ذلك القسم الكبير الذي وقفته الصحف على ثمرات أقلام الكاتبات يرى منه مجموعة وافرة من آراء السيدات واقتراحاتهن ومناقشاتهن ، يستطيع المفكر أن يكوّن لنفسه منها رأيا عن المستوى العقلي للمرأة المصرية في نهضتها الحاضرة ، فيرى ان سيداتنا قد توخين فيما يكتبن الحث على التمسك بجميل العادات الشرقية والمحافظة على نواميس الآداب والاخلاق التي تقيد نهضتهن في سيرها نحو الرقي الصحيح والبحث عن معرفة أمراض هذه النهضة والعلاج الذي نستأصل به هذه الامراض الى غير ذلك من الآراء الناضجة والافكار القويمة التي اكسبت كاتباتها شرف تولي قيادة هذه النهضة النسائية

٤ ــ اعمال النساء

لم يقتصر مجهود المرأة في الحركة الاخيرة على المظاهرة والخطابة والكتابة فقط

بل تدلت في جهادها الاجتماعي هذا من مشاطرة الرجل في ذلك الى مشاركته اشتراكاً فعلياً في الامور الاجتماعية والسياسية حتى ظهر أثرها في كل حادثة ومسألة كما ترى فيما يأتي :

جمع الاعانات والجود بالمال لمساعدة المنكوبين

فقد تسابقت المصريات الى الخير وتسارعن الى عمله بالسعي لجمع الاموال والاعانات لمساعدة الفقراء والبؤساء بل تسابقن في ميدان العطاء والجود لتخفيف ويلات المنكوبين . ومن ذلك مساعدتهن المشروعات الاجتماعية المفيدة كمشروع ملجأ الحرية لتربية الايتام واطفال الشوارع البؤساء فقدتسابقن في الاكتتاب له وجمع التبرعات من السيدات المحسنات . وعقدت السيدات في الاسكندرية اجتماعاً لاعانة الارامل والايتام والاخذ بناصر هذا المشروع فأسسن لهن جمعية باسمه ألقين فيها الخطب المناسبة واكتتبن بالمبالغ الكبيرة ، وألفن لجنة تهتم بالمصالح المصرية ومؤاساة المعوزين وجمع الاكتتابات . وهذا الشعور الوطني الذي دبّ في نفوسهنّ قد تعدّى السيدات منهنّ الى الفتيات والتلميذات . فمن ذلك ان اتفق اربع منهن على القيام بعمل خيري رحمة باخوانهن المنكوبين فتطوعن لجمع الاعانات والتبرعات من عقائل البيوتات ، وتبرع بعض الغيورين بمركباته الخصوصية لتقلهنّ ، الى غير ذلك من أعمال الاحسان التي قامت بها السيدات مما يضيق المقام عن سرده وهو يدل دلالة واضحة على رقي المرأة المصرية وتقديرها الوطنية حق قدرها بجودها بالمال وتطوعها لجمع التبرعات وتعضيدها المشروعات الخيرية الوطنية واشتراكها في جل الاعمال التي ينتظر منها خيراً للبلاد

تشييع جنازات المصابين ومؤاساة الجرحى

تمّ بهذا اشتراك السيدات المصريات مع الرجال في كل عواطفهم وفي جميع ضروب ومظاهر الحركة الاخيرة فشاطرتهم أفراحهم وأتراحهم وقاسمتهم سراءها وضراءها وشاركتهم في كل ابتسامة ودمعة . فكما شاركتهم في مظاهراتهم السلمية وأفراحهم كذلك شاركتهم في تشييع جنازات المصابين بالحوادث الاخيرة وتسارعن لزيارة المستشفيات لمؤاساة جرحى المظاهرات . وقد ذكرت « الفازت » ان السيدة المصرية دخلت في طور جديد مستشهدة بزيارة حرم سعد زغلول باشا ومن معها من عقائل السيدات للجرحى في القاهرة وزيارة حرم صدقي باشا وزميلاتها المستشفى

الاميري في الاسكندرية لعيادتهم ومؤاساتهم ، فاستقبلن في المستشفين بكل حفاوة ووزعنَ على الجرحى أصناف الهدايا . وخصص وفد من السيدات القبطيات عيد القيامة الماضي بزيارة هؤلاء الجرحى ومؤاساتهم وقد جمعنَ مبلغاً من المال اشترين به لهم الازهار والسجاير والحلوى والهدايا الاخرى ، وكذلك فعلت سيدات جمعية الاتحاد الاخوى ببور سعيد فقد زرنَ الجرحى الوطنيين بالمستشفى المصري ببور سعيد ووزعن عليهم الهدايا . فكان في زيارة هذه الوفود النسائية أعظم سلوى واكبر مروح على نفوس الجرحى كباراً وصغاراً

عملهن في حفظ النظام وتسكين روع الاجانب

وشاركنَ الرجال أيضاً في مشكلة الارمن فقابلن نساءهم ساعيات في ازالة ما وقع بين الفريقين من سوء التفاهم ، وساعدن على حفظ النظام فزرن نساء العامة ونصحن لهم بالتزام السكينة والهدوء واحترام الاجانب كي يبلغن ذلك لازواجهنَّ وأولادهنَّ . وأخذ بعضهنَّ على عاتقه زيارة دور السيدات الاجنبيات ليزيل ما قد يكون علق بذهنهن من سوء الظن بالمصريين فزرن الروميات وغيرهن من الاوربيات وشرحنَ لهن عواطف المصريين نحو الاجانب وحسن ضيافتهم لهم السنين الطوال ورجونهنَّ أن ينبهن أزواجهنَّ ليعودوا الى أعمالهم التجارية وغيرها

وكانت مهمة المرأة في خدمة الامن وتسكين الروع هذه دقيقة وشاقة لكنهنَّ قمنَ بها خير قيام مدفوعات بعامل الغيرة والشعور الوطني

٥ ــ وفود النساء

نضيف الآن الى صور هذا التطور صورة أخرى هي أعجب مظاهر هذه النهضة ونعني بها وفود النساء . فقد ألفن الوفود وقابلن الوزراء والامراء وذهبن الى الكنائس والمساجد وغيرها . ومن ذلك وفدهنَّ الى الوزارة الرشدية ، فقد استقبل رشدي باشا ووزارته فيما قابله من الوفود أثناء وزارته الثانية « وفداً من كرائم السيدات المصريات » ثم « وفداً آخر من نخبة المعلمات المصريات » ، وقدّمن للوزراء العرائض وبسطن لهم رغباتهن فقوبلن بما يليق من الاكرام ، ومن وفودهن الى العظماء وفدهن الى الامير عمر طوسون ، فقد هزت العاطفة الوطنية نفوس فتيات الاسر فألفن وفداً منهنَّ لمقابلته وابداء ما يخالج ضمائرهنَّ من الاعجاب بعواطفه

السامية وجميل سعيه في جمع الكلمة ، وليرفعن اليه واجب الشكر على منحه وأريحيته النادرة ، فألقين بين يديه الخطب وتقبل سموه شكرهن بلطف واكرام

وكفى بهذا شاهداً على رقي سيداتنا المصريات بقبول وفد منهن رسمياً من رؤساء الحكومة وعرضهن عليهم آمالهن واما نيهن

ويذكرنا هذا بوفود نساء العرب ابان نهضتهن الى الخلفاء والامراء ، فقد ذكر التاريخ اسماء كثيرات منهن كن يدخلن على الخلفاء في صدر الاسلام ويحادثنهم ويجادلنهم في المواضيع السياسية والمجلس غاص برؤوس الامة لا ينكر عليهن احد منهم

وفودهن الى الكنائس والمساجد

ومن دلائل الاغتباط برقي المرأة المصرية ووقوفها بجانب الرجل في الحياة القومية ان «وفداً من أرقى السيدات المسلمات» قصد دار البطريركية للزيارة والمشاركة بالعيد وتهنئة غبطة البطريرك به واعلان شعورهن نحو الوحدة فألقين الخطب الرائقة داخل الكنيسة، وقوبل هذا الوفد بالاعجاب والشكر . وتلاه « وفد السيدات القبطيات» الى المسجد الزينبي ، فقد اجتمع جمهور كبير من السيدات المسلمات في مسجد السيدة زينب لاستقبال وفد اخواتهن القبطيات الاتي لشكرهن على زيارتهن البطريركية والكنيسة القبطية الكبرى وتهنئتهن بالعيد ، وقد قوبل هذا الوفد المؤلف من أرقى السيدات والاوانس القبطيات داخل المسجد الزينبي بالترحاب الفائق ، وهناك ألقيت الخطب من الكثيرات منهن اظهاراً لسرورهن بتوثيق عرى اتحادهن مع باقي شقيقاتهن الوطنيات وفرحهن بهذا التآخي الجميل الذي عم جميع الطبقات

ومن ذلك أيضاً « وفد السيدات المصريات » الى مسجد أبي العباس المرسي في الاسكندرية ، فقد عم هذا المسجد وفد من نخبة السيدات المصريات المسلمات والقبطيات خطبن في النهضة النسائية وتضامن المصريين والمصريات والقين الخطب والقصائد والجمع المحتشد يحيي ما يقلن مسروراً بتلك الخطب والاقوال النافعة، ومثل ذلك حصل في الاقاليم ففي طنطا زار الكنيسة القبطية « وفد من المصريات » لاظهار عواطفهن نحو اخواتهن فخطبن من مسلمات وقبطيات في النهضة النسائية الوطنية وآيات الاخاء ، وكذلك جرى في غيرها مما دل على ان اشتراك السيدات في هذه النهضة كان عاماً

في جميع البلدان . وقس على ذلك القول في سائر هذه الوفود النسائية وكلها قد قوبلت في كل مكان بالاعجاب والشكر على هذه الروح الشريفة والنهضة المباركة والتطور العجيب الجليل

نتيجة الدور الاول

والخلاصة ان النساء المصريات في هـذا الدور الاول من نهضتهن اشتركن مع رجالهن في أعمالهم الوطنية والحركات القوميـة وعضدن كل مشروع خيري قام به الرجال ولم يتركن باباً من الابواب الا طرقنه في خدمة وطنهن ، فرأيناهن قد شاركن الرجال في ابداء الشعور الوطني بمواقفهن في المظاهرات وأخذهن بقسطهن من الخطابة والصحافة ، فنطقن بالآيات البينات والسحر الحلال وسطرن سديد الآراء والافكار [١] ورفعن صوتهن في وقت الحاجة اليه ، ورأيناهن قد تحملن الاعبـاء الثقيلة في سبيل تحقيق الاماني القومية ، فمنهن من ساعدت بالمال وأخرى بجمع الاكتتاب أو الزيارات وأعمال المؤاساة ، فكن عنوان العطف والحنان ومثال البر والاحسان ، ولا يزلن يواصلن سعيهن في ذلك ، كما رأيناهن متنقلات من المساجد الى الكنائس يبدين لبني وطنهن ما يخالج ضمائرهن من العواطف الى غير ذلك مما فصلناه عن مجهود المرأة المصرية في هذا الدور الاول من نهضتها

وكل ما تقدم من مظاهر هذا الدور يدل دلالة واضحة على حدوث حركة بين السيدات وتطور في الهيئة الاجتماعية المصرية لم يكن من قبل . وهـذا التطور قد اختمر وبرز يأخذ مكانه في الحياة العملية على ما تقتضيه سنة التدرج الطبيعي ، فان هذه المظاهر وان كانت قد اختفت الا انها تطورت بشكل عملي لو لم يحدث لصح أن يقال أنها مظاهر وقتية يندفع فيها الانسان بشعوره أكثر مما يندفع بعقله فهي لا تدل على نهضة أو تطور الا اذا أعقبها عمل يؤدي هذا المعنى ، وهـذا ما تحقق وظهر في الدور الثاني من هذه النهضة

---

(١) وقد اظهرت لنا هذه النهضة النسائية أنه ليس عندنا خطيبات وكاتبات مجيدات فقط بل عندنا ايضاً شاعرات قديرات على نظم الشعر وقرضه

وقد نظم الشعراء عندنا القصائد العامرة في ذلك خاطبوا فيهـا الفتاة المصرية الناهضة الشاعرة والضاربة في الفنون والاداب بسهام نافذة ، وحيوا نهضتها . ولو اردنا اثبات كل ما نظمته السيدات من الشعر أو ما قاله الشعراء في تحيتهن واطراء نهضتهن لطال بنـا القول فنكتفي بالاشارة الى ذلك

الدور الثاني

خطت المرأة المصرية الدور الاول من نهضتها وبدأت تطور في الدور الثاني وهو دور الحركة والجد والعمل واصلاح شأنها بتأليف الجمعيات ، فقد تحولت هذه النهضة من دور المظاهرات والمظاهر الاخرى كما تقدم الى حركة عملية يقصد بها ترقية شأن المرأة المصرية واصلاح شؤونها وانارة مداركها وجعلها في المقام الذي يليق بها في الهيئة الاجتماعية والمركز الذي يؤهلها لخدمة بلادها ونفعها نفعاً حقيقياً . والجمعيات هي باكورة أعمال النساء في هذا الدور من نهضتهن

جمعيات النساء

كانت النساء المصريات في حاجة الى الاخاء والتعارف بينهن بعد ان عشن متباعدات عن بعضهن لا يعرفن شيئاً من واجبهن النسائي . فلما ابتدأت نهضتهن وأظهرت الحركة ما بين قلوبهن من صلات الارتباط هيأت اعمالهن في الدور الاول نفوسهن للاتحاد والتعاون ، وقد رأين أن الواحدة منهن لا تستطيع منفردة أن تقوم بعمل يذكر ، وأدركن أن انضمامهن الى بعضهن في هيئات منظمة يكون أعود بالنفع والفائدة ، فاخذت السيدات المتعلمات والعقيلات الفاضلات منهن ينشرن دعوتهن الصالحة لجمع الكلمة ، والاذهان مستعدة لذلك ، وتوحيد الرأي في العمل على أنهاض المرأة المصرية ، فشرعن في تأسيس الجمعيات الراقية التي تجمع شتاتهن وتضمهن تحت لواء واحد ، ولم تكن الا ايام حتى سمعنا باسماء تلك الجمعيات وقرأنا على صفحات الجرائد نصوص قوانينها ولوائحها وبرامج أعمالها وخططها

فهذه الجمعيات هي احدى حسنات النهضة النسائية الحاضرة واول ثمرات الاتحاد . وكم كانت ترنحنا نشوة الفرح عند ما كنا نسمع في كل يوم عن خلق احدى جماعات الجنس اللطيف هذه اللاتي أردن أن يدلين في معامع الحياة دلوهن فيرفعن عبئاً ثقيلاً ويسددن فراغاً كبيراً ونقصاً عظيماً كانت تشعر به البلاد ولا تخلو بلدة من بلدان العالم المتمدين من جماعات عاملة أمثالها تقوم به . فهذه أوربا وأميركا لا تخلو مدينة أو عاصمة من عواصمها من جمعية أو جمعيات للنساء تعمل على رقيهن وتترك في كل سنة تمر في تاريخ أعمالهن أثراً شريفاً وخدمات جليلة

ويسرنا أن نسطر في تاريخ هذه النهضة عظيم اهتمام السيدات في المدن المصرية بتأليف هذه الجمعيات الباعثة على اتحاد الوطنيات جميعاً وتعاونهن في ترقية شؤونهن . والذي يستلفت النظر فيها كثرتها وسرعة تأليفها وانشائها ورقي مبادئها واغراضها ، فقد أنشئت في القاهرة ثلاث جمعيات في وقت واحد تقريباً ثم انتشر عقب ذلك تأليف هذه الجمعيات النسائية لرقي المرأة في غير القاهرة بما دل على ان النهضة ليست قاصرة في دورها الثاني على العاصمة فقط بل هي عامة في جميع بلدان القطر المصري ، ففي الاسكندرية ألفت جمعية وكذلك في بور سعيد وطنطا وغيرها . وكل هذه الجمعيات تعمل على جمع كلمة سيدات العنصرين وتوحيد رأيهن في ترقية المرأة المصرية ورفع مقامها الى ماكان لها من السمو في سالف الايام ، ومن يرقب سير ماألف منها يرى أن هذه النهضة النسائية صحيحة المبدأ قوية النظام ، فان من ارجع البصر الى ما نظمته هذه الجماعات من جمال الخطة واصالة الرأي وما يقرعن به الاسماع من الدرر الزاهية ليبني النفس بازالة ذلك الحجاب الكثيف الذي طالما أسدل على نبوغنا النسوي

واليك الكلام على هذه الجمعيات وأهم قوانينها وأغراضها وأعمالها مما يتسع له المقام ، ونبدأ بالجمعيات التي تأسست في العاصمة اذ هي الاولى من نوعها

جمعية فتاة مصر الفتاة

أسس هذه الجمعية النسائية فريق عظيم من فضليات السيدات في القاهرة حوالي شهر ابريل الماضي (سنة ١٩١٩) واسميتها « فتاة مصر الفتاة » لترفع من شأن المرأة المصرية على دعائم الاداب والشرائع ، وهي تشمل معظم الطبيبات والمعلمات وكثيرات من عقائل البيوتات ، وقد وضعن لها قانوناً محكماً أذعنه في الصحف وهو يشتمل على اغراض كلها شريفة نافعة بل ضرورية لمصلحة الامة في حاضرها ومستقبلها فمنها : (١) القيام بالقاء الخطب النافعة في العاصمة والاقاليم . (٢) نشر المقالات في الجرائد والمجلات أو في مجلة خاصة (٣) استدعاء السيدات في المواسم والاعياد وغيرها لبث الارشادات والنصح (٤) مؤاساة الفقراء والفقيرات وارسال الطبيبات والمولدات أو ايجاد مستشفيات دائمة أو لحوادث خاصة ومكاتب وامكنة لتعليم البدويات (٥) بذل الجهد في اعانة الارامل والايتام (٦) محاربة كل ما يغاير العادات المصرية ويخالف

شرائعها في الاخلاق وفي الادبيات والازياء وكل ما هو من نوع الاسراف والتبذير أو يشين سمعة المصرية في كرامتها

فترى أن من مبادىء هذه الجمعية التمسك بالعادات المصرية والاخلاق الشرقية ، ومن أهم اغراضها أن تنشر الفضيلة وتنشىء نفوس الطفلات والفتيات على التربية الصالحة ، ومنها نشر التعاليم الصحية في البيئات الجاهلة وارشاد نساء العامة الى الوسائل العملية لاجتناب الامراض والاوبئة وهديهن الى الطرق التي بها يربين أولادهن ويعتنين باجسامهن

وقد أخذت الجمعية تعمل لخدمة هذه الاغراض فابتدأت اعمالها بندب خطيبات من بين اعضائها للخطابة في السيدات في الاحياء الوطنية في بيان اعراض الحميات وطرق الوقاية منها فقمن بتفهيم نساء العامة اعراض الحمى التيفوسية (حين انتشارها) والتدابير التي تتبع في معالجتها وتوقيها

وقد قررت الجمعية انشاء مشغل وطني يصنع فيه ما يلزم للسيدات والاطفال ووضعت اسهماً لتوسيع نطاقه ، كما قررت اعانة كثير من الفقراء والمرضى وقبول التبرعات والاشغال اليدوية التي تقدم لها وبيعها وضم ثمنها الى حساباتها . وقد توصلت الى ايجاد فروع لها في كثير من مدن القطر للاشتغال بنفس هذه الاغراض الشريفة

والخلاصة ان هذه الجمعية من اكثر الجمعيات نشاطاً كما كانت أولها واسبقها للخروج والعمل ، وهي لا تزال تواصل سعيها في خدمة اغراضها ولا جدال فيما ينتظر من مساعيها الجليلة من الخير والنفع العميم لو ثابرت على خطتها

جمعية المرأة الجديدة

تلت هذه الجمعية في الاسراع الى الظهور في عالم الوجود جمعية السيدات الاولى فانه ما كاد ينشر خبر تأليف هذه حتى نهض عدد كبير من ارقى السيدات الوطنيات لتأليف جمعية أخرى أوسع نطاقاً واكثر عملاً يشترك فيها سيدات المنصرين الوطنيين فاسسن « جمعية المرأة الجديدة » في شهر ابريل ايضاً (اذ عقدت اول جلساتها في ١٩ منه) وقد والت اجتماعاتها فوضعت لها قانوناً يحاكي قوانين أحسن الجمعيات شأناً ، ولم يكد يذاع امرها حتى انضم اليها جمهور كبير من اوانس وعقيلات المنصرين من اصحاب البيوتات العالية اللاتي حركتهن عوامل الغيرة على رقي المرأة وإعلاء شأنها

والرحمة بالفقراء والمعوزين والرغبة في تخفيف ويلاتهم

ومبدأ هذه الجمعية الجديدة الذي نص عليه قانونها هو : النهوض بالمرأة المصرية والسير بها في طريق الرقي بالسبل المشروعة مع الاحتفاظ بالتعاليم الدينية والتقاليد القومية ، والمساعدة في اعمال الخير بجميع وجوهها ، ولا دخل للسياسة في منهجها

اما سبيلها الى تلك الغاية فهو القاء الخطب والمحاضرات الاخلاقية والعلمية في الاجتماعات التي تعقدها ، ولكل عضو فيها الحق في الخطابة والالقاء فيما يوافق مبدأها ، وكذلك نشر الابحاث النسائية والخطب والمحاضرات التي تلقى في اجتماعاتها وطبع كل ما يعود على المرأة بالفائدة على نفقتها . وقد جعلت هذه الجمعية همها الاول في ابتداء امرها جمع الاعانات للمنكوبين بالحوادث الماضية ثم تدرجت عقب ذلك الى العمل على خدمة اغراضها في ترقية المرأة واعلاء شأنها

ومن مشروعات هذه الجمعية التي اشار اليها قانونها اقامة الاسواق الخيرية في اوقات تعينها فيباع فيها كل ما تصنعه الجمعية وما يهدى اليها من الاشغال اليدوية والمصنوعات الجميلة من الاعضاء وغيرهن ويصرف في وجوه خيرية

ومن باكورة اعمالها التي قررتها وتواصل سعيها في انجازها انشاء معهد لتعليم الفتيات الفقيرات المصريات مبادىء العلوم الاولية والتطريز والخياطة والاشغال اليدوية بانواعها ليكون منهم الخياطات والمطرزات وغير ذلك حتى اذا كبرن استطعن كسب عيشهن من السبل الشريفة القويمة ، وقد أسمين هذا المعهد (المشغل الخيري) وأخرجنه الى حيز الوجود ، ولا يخفى أهمية هذا العمل الجليل ومنفعته فانه يضمن مستقبل عدد كبير من الفتيات اللاتي قد تؤدي بهن الفاقة الى السقوط والتبذل ، ويؤهلهن لاكتساب الاموال التي تستدرها من نسائنا الخياطات والعاملات الاجنبيات

وقد أقامت هذه الجمعية العاملة حفلة خيرية شائقة في تياترو برينتانيا عرضت فيها الهدايا الثمينة التي أهديت اليها ، فرأت من اقبال الغيورين وانصار النهضة وتشجيع علية القوم ما نراه وأمثالها منهم في كل فرصة من التعضيد والتنشيط

فترى أن هذه الجمعية تماثل جمعية السيدات الاولى في النشاط والعمل وتشابها في أكثر الاغراض والاعمال والمبدأ وان كانت أوسع منها نطاقاً

جمعية الناشئات المصريات

سمعنا بعد ذلك بهذه الجمعية وهي كما يتبين من أسمها مؤلفة من الفتيات والناشئات المصريات كما أن جمعية فتاة مصر الفتاة مؤلفة من الطبيبات والمعلمات وسيدات الاسر وجمعية المرأة الجديدة من عقائل بيوتات المنصرين ، وهذه الجمعية تعمل لما تعمل له جمعية المرأة الجديدة . فهي بالاجمال جمعية « خيرية ادبية » كالجمعيتين المتقدمتين . وترى من ذلك أن النهضة النسوية الموجودة في القاهرة شاملة كل الطبقات وجامعة لكل ما هو ضروري للاصلاح . واليك الجمعيات النسائية الاخرى التي أسست في الثغور والمدن المصرية لتعاون جميات العاصمة النسائية في العمل على رقي المرأة المصرية

جمعية الاتحاد الاخوي ببور سعيد

اسست هذه الجمعية للسيدات ببور سعيد تحت اسم « جمعية الاتحاد الاخوي للسيدات المصريات » وهي من الهيئات المنظمة الراقية ، وقد افتتحت اجتماعاتها بالخطب الانيقة ووضعت لها قانوناً يبين طريق السير في عملها وتحقيق مقاصدها ، وغرض هذه الجمعية هو العمل للنهوض بالمرأة المصرية الى مستوى الكمال وبث الروح الوطنية والفضيلة بين سيدات هذا الثغر بالكتابة والخطابة بينهن ومناداتهن بالواجب عليهن من مشاركة سيدات القاهرة في شعورهن واغراضهن

وقد زارت سيدات هذه الجمعية واعضاءها الجرحى الوطنيين بالمستشفى المصري ببور سعيد ووزعن عليهم الهدايا والسجائر والحلوى

جمعية اتحاد وترقي المرأة المصرية بطنطا

ألفت هذه الجمعية من السيدات المصريات المسلمات والقبطيات في طنطا وقد دعيت « جمعية اتحاد وترقي المرأة المصرية بطنطا أو جمعية المرأة الطنطاوية » وهي جمعية أدبية خيرية منظمة غرضها السعي في ترقية المرأة المصرية في العادات والاخلاق والنهوض بها واعانة الفقراء والمعوزين والبائسين والبائسات والسعي في جمع ما يلزم من المال ونشر الدعوة لانشاء الملاجيء والمدارس والمستشفيات وغير ذلك من

الاغراض الخيرية الشريفة . وقد وضعت لها قانوناً خاصاً يشمل خططها ولها مجلس ادارة وجمعية عمومية عقدت والقيت فيها الخطب المبينة لاغراضها

جمعية ترقية الفتاة المصرية
في الاسكندرية

تألفت في الاسكندرية هذه الجمعية النسائية من ارقى عقائل واوانس الاسر السكندرية وفضلياتهن وقد أسميت «جمعية ترقية الفتاة المصرية» ومهمتها النظر في كيفية تعليم الفتيات وطرق تربيتهن والعمل على ما يرقي مداركهن ويعزز مقامهن في أهلهن وذويهن ويرفع شأنهن في الحياة القومية، ولقد رأينا اغراض جمعيتي بور سعيد وطنطا في ترقية المرأة المصرية مجملاً لكن غرض جمعية الاسكندرية هذه في ترقيتها مفصلاً، فقد جعلت لها غرضاً اساسيًا تريد ابتداء عملها في ذلك بالسعي لتحقيقه وهو انشاء «كلية وطنية راقية تقوم بترقية الفتاة المصرية أدبيًا وعلميًا» وتغنيها عن التعليم الاجنبي وامثاله الذي تنسى به دينها وادب قومها ولغة أهلها وتاريخ بلدها وتحتقر به عوائد قومها، فيدرس فيها العلوم الاساسية كالدين واللغة العربية والحساب وعلم تدبير الصحة والمنزل واحدى اللغات الاجنبية والرسم والنقش والجغرافية والخياطة والتطريز، ويخصص فيها فرع لتعليم الموسيقى تعليماً كاملاً يضمن تخريج معلمات مصريات لهذا الفن الجميل كما يخصص فيها فرع آخر لتعليم الخياطة تعليماً عمليًا محضاً يستطاع به الحصول على معلمات للخياطة وخياطات وطنيات» ووجه الخير فيها ان القسم الاول من الكلية وما يجمع من مصروفات الفتيات فيه يقوم بالصرف على يتيمات هذين الفرعين اللذين تقصد الجمعية بانشائهما ضمان مستقبل أولئك اليتيمات وتأهيلهن وغيرهن من الفتيات لاكتساب الاموال التي تستدرها الاجنبيات، وقد قالت احدى خطيبات هذه الجمعية (اننا لا نزال عاجزات عن العمل والكسب ولا تزال الاجنبيات تبتزن اموالنا بما يتقنه من الحرف والفنون) وهذا يشبه تماماً ما تقصده جمعية المرأة الجديدة من معهد الفقيرات الذي تعمل له

وقد عقدت هذه الجمعية اجتماعات عديدة القت فيها أعضاؤها الخطب البليغة في أغراضها وشرعن في الاكتتابات لفتح هذه الكلية فجمعن اموالاً كثيرة

ختام الدور الثاني

هذه هي الجمعيات النسائية الجديدة التي رأت السيدات المصريات ان لا سبيل الى اتقان مركزهن الا بتأليفها ، وهذه هي لمحة عنها وهي أهم اثمار نهضتهن ، والمطلع على قوانين هذه الجمعيات النسوية وبرامجها يرى ان الغرض الذي ترمي اليه كلها واحد وهو غرض اجتماعي جليل ينحصر في تحسين حالتهن ورفع المستوى الادبي لسائر اخواتهن ، وبعبارة أخرى النهوض بالمرأة المصرية ورفع شأنها على دعائم الآداب والشرائع ، وانارة مداركها . فضلا عن الاغراض الخيرية والادبية الاخرى . فكلما تعددت هذه الجمعيات زادت الفائدة وعم النفع ، وحسبنا ان تكتفي السيدات بالاكثار من تأليف الجمعيات والتمرن على الاجتماعات الجدية وتدارس حالتهن الادبية وبيان مقوماتها والعمل على ذلك حتى يكون لهن من هذه الحياة العالية حياة الجد والعمل ، أعظم قسط واوفر نصيب يجعل لهن الشطر الاكبر في ترقية البلاد

ولا ريب أن قيام طائفة المتعلمات بتأليف هذه الجمعيات الراقية للمرأة في البلاد دليل على النهضة النسوية العامة التي هي فاتحة مستقبل سعيد بشائره التفكير في المشرعات وقيام هذه الجمعيات بها

ونحن نؤمل ان تضم هذه الهيئات المنظمة كل نسائنا الراقيات فتنتفع بعلمهن وعملهن، وان تتألف لها الفروع الكثيرة في المدن ليعم نفعها وارشاداتها، وان تتخذ لها عدة محلات خاصة لنشر أصولها النافعة بين جميع طبقات جنسها

خاتمة النهضة النسائية

هذه هي المظاهر والادوار التي تقلبت فيها هذه النهضة حتى الآن ، وهذه هي اعمال النساء المصريات فيها التي غيرت اعتقادنا واعتقاد غيرنا فيهن ، فحسبنا ماشاهدناه من جليل هذه الاعمال وما فيها من دلائل الحياة المتدفقة ومارأيناه لهذا الجنس اللطيف من المناقب والمآثر والهمة التي تسجل له تاريخاً ذهبياً وتسطر ذكراً تفتخر به كل مصرية عاملة

والمتتبع لهذه النهضة يرى ان خلقها وشمارها المحافظة على نواميس الآداب والاخلاق والشرف ، والتمسك بجميل العادات ، فقد كانت السيدات في كل مظاهرهن واعمالهن مثال الوقار والعفاف وعنوان الشهامة والخير ، تتوقد روحهن حية ووطنية وهمة ، ولايشك احد من الواقفين على تطورهن انهن يزددن في كل يوم نشاطا وعملاً . والخلاصة ان كل ما تقدم يدلنا على نهوض المرأة المصرية الذي لم نكن نحلم به ، وتطورها ذلك التطور السريع الذي سيضمن تحقيق ما اندرس من مجدها فتباري الغربيات ، ولا غرو ففضلها في المدنية سابق لفضلهن ، كما يدلنا على ان نهضتها قائمة على أساس صحيح هو الاستعداد للكمال وقبول الترقي

ذكرى قاسم امين

وتذكرنا هذه النهضة ومظاهرها الفخمة التي اظهرت فيها النساء قوة عجيبة بنصيرهن وصاحب الفضل عليهن المرحوم قاسم بك امين الذي قد اعترفن بجهاده اثناءها غير مرة وأسمين احدي جمعياتهن (المرأة الجديدة) باسم احد مؤلفاته رمزاً لذلك ، وأقرب ما يمر بالخاطر ازاء ذلك تلك الحركة الفكرية التي احدثتها كتاباته القليلة الخالدة وما اثارته من عوامل المناظرات يوم قام يدعو الى اصلاح العائلة المصرية (التي هي المثل الاول الذي على صورته تكون الامة) وذكر ان حبس المرأة على هون امر ابطله الاسلام وان حريتها امر طبيعي قرره ذلك الدين الحنيف التي هي فيه أوفى حقاً من كل نساء العالم . وكان كل ما يدعو اليه هو تحريرها بالتعليم والتربية والرجوع بها الى الحجاب الشرعي ، وما هذا الا رجوعاً في الحقيقة الى اصول الدين وعوائد المسلمين السابقين . فكان نصيبه ان لم تنل دعوته فقط ما كان يرجى لمثلها من النجاح بل لاقى ما لاقاه كل مصلح قبله من اشد ضروب

الطعن الكتابي حتى اتهمه بعضهم بالمروق من الدين ووصمه آخرون بالخروج عن الادب ، وزعم غيرهم انه يرمي الى قلب الحياة الاجتماعية المصرية وممالأة الانجليز على ضياع البلاد [1] ! حتى قال يومئذ الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم يعزيه ويصوب رأيه:

أقاسمُ ان القومَ ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السّفر ما انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت في مصر حواءُ أمُّنا يلوحُ محيّاها لنا ونراقبُه
وفي يدها العذراء يسفرُ وجهُهَا تصافحُ منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمدٌ وجيش من الاملاك ماجت كواكبه
وقالوا لنا رفعُ النقاب محلّلٌ لقلنا نعم حقٌّ ولكن نجانبه

قارنا ذلك بمواقف السيدات يوم المظاهرات وتطور حالتهن ومشاركتهن الرجال ، وكان يشاركنا في هذه المشاهد ذلك اليوم نصير قاسم بك ومعضده واكثر الناس مجاهرة بنصرته وأخذاً بيده وهو الاستاذ الفاضل ابراهيم بك رمزي الذي انشأ وقتئذ مجلة (المرأة في الاسلام) وجعلها وقفاً على مشروعه ودعوته ، فوقفنا معجبين بالفرق العظيم بين الحالتين وذكرنا صاحب الفضل في غرس هذه الروح القوية الجديدة وانمائها وتمنينا لو كان حيّاً ليرى ثمرة جهاده الذي لم ينعم به في حياته

وها نحن اليوم نعيد هذه الذكرى الطيبة اذ ننظر الى نضوج هذه النهضة النسائية وتلك الخطوات الواسعة التي خطتها المرأة في سبيل الرقي وطريق الحياة الجديدة . ثم نتذكر ما كانت عليه منذ اعوام في حياته ، فنقف معجبين بتلك الروح القوية التي انتشلتها من وهدة التأخر ودفعت بها الى حيث تشعر بالوجود وتفقه معناه ، نعيد ذكراه الطيبة وقد اثمر غرسه الثمر الذي كان يرجوه بعد ان مضى اكثر من احد عشر عاما على وفاته فنبتت البذرة التي وضعها في حياته ونمى نباتها وظهرت ثمراتها وقد عملوا على اقتطافها والانتفاع بها

متممات النهضة النسائية

ونختم الكلام على هذه النهضة بكلمات واقتراحات ندلي بها للسيدات

(١) تحرير المرأة ص ٢١٦

وتلفت اليها على الاخص انظار القائمات منهن بادارة الجميات بما انهن كن أول من توجهت انظارهن الى تحسين حالة النساء وقد الفن لذلك هذه الجماعات التي اهم اغراضها كما رأينا هو النظر في احوالهن ورفع المستوى الادبي لسائر اخواتهن ، فهن يعلمن انه مهما كانت درجة الرقى النفسي والوطني الذي ظهرت به المرأة المصرية في هذه النهضة فانها في حاجة الى الكفاح والصبر على العمل حتى تصل الى المستوى اللائق بالام في هذا الزمن من التربية والتعليم الصحيح ، فهي ليست في حاجة الى التعليم للمرافعة امام المحاكم او غير ذلك بل للاحتفاظ بمركزها العائلي ، وهذا يقضي بان يكون تقدمها ورقيها ضمن الدائرة التي تهيئها لان تكون ربة بيت ومربية شعب

وأهم ما ينقصها من ذلك الاهتمام بالمسائل الصحية والشؤون الطبية التي تساعدها على القيام بوظيفتها كأم ومربية وكذلك الاقتصاد المنزلي وتدبير الشؤون المنزلية على النظام وحسن الاقتصاد فقد عاب علينا من وقف على دخائل بيوتنا وتفاصيل معيشتنا البيتية وما فيها من آثار التبذير وعدم العناية بالادخار والتدبير ، وقد شعر بهذه الحقيقة المخجلة الموظفون والعمال في الآونة الاخيرة عند ما تفقدوا صناديقهم فلم يجدوا بها درهماً مدخراً لساعة الحاجة

ويدخل في هذا أيضاً تلك الكلفة الشاقة والضريبة الباهظة التي تفرضها السيدات على جيوب الآباء والازواج للتظاهر والزينة والولوع بمختلف الازياء اذ ليس من التقليد النافع ان تتخذ المرأة الفرنسية وامثالها ومختلف ازيائها مثالا للرقي المطلوب في مصر فان مثل هذه السيدة وان كانت راقية الا انها ليست القالب الذي نريد القياس عليه

كما انها في أشد الحاجة الى الاقلاع عن العادات التي لا تتفق مع روح العصر الحاضر والسعي لمحاربتها ومنها عادات الخطوبة والتغالي في المهور وتعليق اهل العرائس حظوظ بناتهم على المغالاة فيها وما يتبع ذلك من التبذير في التجهيز واقامة الافراح وغيرها من المظاهر الكاذبة التي انفردنا بها وهي لا تدني الا للضيق او الشقاء وليس من يجهل منا انها من اهم موانع الزواج عندنا ، ونذكر ان السلطان عبد الحميد ادرك هذه الحقيقة أيام حكمه فاصدر ارادة سنية دعا فيها الى عدم الافراط في ذلك كله ، وهذا ما يسير عليه الاتراك اليوم

فعادات الخطوبة والزواج عندنا مثلاً تعد من الغرائب التي لا تتفق مع الدين

وليست منه في شيء ، فالشريعة الاسلامية تجوز للخاطب أن يبصر المخطوبة وينظر الى وجهها وكفيها ، واجمعت المذاهب الاسلامية على جوازه واستمدته من قول الرسول صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة حين خطب امرأة : أنظرت اليها ؟ قال لا . فقال عليه الصلاة والسلام : « انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما » الا ان هذه الرخصة غير مستعملة عندنا الآن الا نادراً . وترى من ذلك انه ما دام عدم الاختيار مستعملاً كما اجاز الشرع فمن المحال ان تقام لهناء العائلة عندنا قائمة ، ولا ندري لماذا نهمل هذه الاجازة والنصيحة على ما فيها من الفائدة مع اننا نتمسك بغيرها مما يقل عنها في الاهمية ؟

واذا كانت هذه العادات من اهم موانع الزواج عندنا كما تقدم فهي لا تتفق مع هذه النهضة النسائية ونتائجها التي من أهم فوائدها عودة الناس الى الاهتمام بامر الزواج بعد ان كان اكثر الشبان يحجمون عنه بدعوى انه لا توجد بيننا الفتيات المتعلمات المهذبات ، ولكن هذه النهضة التي برزت للعيان غيرت هذا الاعتقاد وجعلتهم يرون انه لا معنى للاحجام بعد ما رأوه باعينهم من ادلة الحياة والنهوض في الجنس اللطيف

هذه امثلة لما نلفت اليه أنظارهن مما تجب محاربته من العادات المستهجنة التي لا تزيدهن علماً بها وقد فشت بيننا واصبحت سوساً ينخر في عظام هيئتنا الاجتماعية سواء أكان في أفراحنا وعاداتنا أم في مآتمنا او غيرها من مظاهر حياتنا العامة والخاصة هذا فضلا عن العادات الخرافية الشائعة في وسطنا النسائي ، ويهمنا ان تكون محاربة هذه العادات كلها مما تشتغل به جمعياتنا النسائية ونشتغل به نحن انفسنا ، اذ خير لنا ان نعالج قضية المرأة من هذا الوجه الصالح الذي ينهض بامتنا الى الامام لا من العودة الى طرق موضوع السفور والحجاب الذي تخجل من أجله الصحافة المصرية امام العالم كما قالت احدى فضليات الكاتبات وسماع تلك المرافعة الطويلة التي لا منفعة من ورائها سوى اسراف في الوقت وتضييع للمواهب المفكرة التي يجب استخدامها فيما يعود علينا بالثمرات الطيبة ، وكان يجب ان لا ننسى ان التربية هي الحجاب المنيع ، قالت هذه الفاضلة (علية) « اننا في حاجة كبرى الى التربية والتعليم وفي فقر الى محاربة العادات الخرافية التي تملكت من نفوس نسائنا فأودت بهن الى الدرك الاسفل ، اننا

في أشد الرغبة لان نرى بين ظهرانينا سيدات فاضلات من مربيات ومعلمات وطبيبات وكاتبات ومؤلفات وصانعات . . . نرغب ان نرى (المرأة المصرية) اماً تعزف بأناملها على قلوب ابنائها بنشيد الحرية واغاني البطولة والشهامة ، نريد ان نراها تصحب ابنائها الى مراسح التمثيل ودور التمثيل الصامت (السينماتوغراف) الى تلك المدارس تصحبهم في غدوهم ورواحهم فتغذيهم بلبان العلوم وروح الفضيلة ، اننا نريد كل ذلك متوجاً بالمدنية الاسلامية الحقة ونبرأ كل البرء من المدنية الغربية المتطرفة فاننا لن نفكر ان يكون منا راقصات او ان يكون منا من يخرجن عاريات الصدور او الاذرع او من يجلس على القهاوي والحانات او ان يكون منا متطرفات في الملبس والزينة والمشي . . انما نريد اخلاقاً كريمة وعادات شريفة وقلوباً طاهرة وانفساً عزيزة ومدنية حقة » . ويسرنا ان تكون هذه الاغراض الشريفة مما تشتغل به جمياتنا ، فهذه جمعية فتاة مصر الفتاة قد جعلت من أهم اغراضها « محاربة كل ما يغاير العادات المصرية ويخالف شرائعها في الاخلاق وفي الادبيات والازياء وكل ما هو من نوع الاسراف والتبذير او يشين سمعة المصرية من كرامتها »

اما وقد دخلت سيداتنا الفاضلات هذا الميدان الاصلاحي الفسيح ، الخاص بجنسهن وهن اقدر من غيرهن على تأدية واجبه الخطير ، فاننا ننتظر ثورة اخلاقية اجتماعية تقضي على العادات السيئة وتحوط المرأة بسياج من التربية والتهذيب والتعليم فيضمن بهذا اول حجر في اساس رقيهن الاجتماعي يتدرجن منه الى العمل على استرداد حقوقهن الشرعية والاجتماعية

فان مما يجب ان يكون من أهم اغراض تلك الجمعيات بعد هذا هو النظر فيما قررته لهن الشريعة الغراء من الحقوق وما ضن به عليهن العرف منها ، فيدرسن هذه الحقوق وما أهمله اهل المرأة جهلا منهم بها او انصياعاً لاحكام العادات الظالمة ، وينظرن في حمايتها في المجتمع وفي حياتها الزوجية وما فيهما من الظلم والقيود الاجتماعية التي لاندري كيف يسوغ وجودها في أمة رفع دينها مستوى المرأة الى مستوى الرجل وجعل لها من الحقوق المدنية والاجتماعية مثل ما له واباح لها ان تشترط في عقد الزواج ما شاءت من الحقوق على الرجل حتى حق تطليقه ، ولقد رأيناها قد خولتها الشريعة اوسع الحقوق الاجتماعية وسمح لها العرف باوسع حق في التصرف بتلك الحقوق ولم يوصد في وجهها مجال من مجالات العلم والعمل ومع ذلك فهي لا تزال

بعيدة عن كل هذا ، ولو اتبع المسلمون اوامر الشريعة لكانت المرأة المسلمة في مقدمة نساء الارض ، ولكن قد تغلبت على هذا الدين الجميل عادات واخلاق سيئة ورثتها عن الامم التي انتشر فيها الاسلام

ونحن نرجو ان تكون فتاة اليوم عاملة نشيطة تساعد على تحقيق رقيها فتتخذ من ذلك التطور السريع وتلك النهضة سلما تتدرج عليه الى ما يليق بكرامتها وان تسمعنا أصوات العمل لا الكلام ، فانها اذا طلبت الرقي فانما يكون ذلك بما تقوم به من الاعمال العظيمة التي تساعدها على نيل مطالبها المنشودة ، واذا تم هذا فان نهضتنا النسوية المحوطة بسياج الدين والادب تتأسس على الاصول العملية والعلمية الصحيحة لا على قشور المدنية التي لاتجدي من ثمرة

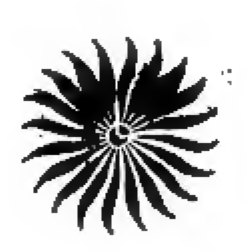
فهل لاعضاء جمعياتنا النسائية والقائمات بادارتها ان يعملن بهذه الكلمات والامثلة التي رأينا من واجبنا ان نكاشفهن بها لتقوية نهضتهن وخوفا من ان يتطرق اليها او الى ثمراتها الطيبة وهي الجمعيات مبادىء سيئة اشد ما نخافه منها ان تجعل هذه الشجيرات الطيبات قصيرة العمر فتذبل أغصانها ، لذلك خليق بنا الفات الغارسين الى ما ينميها نموًّا حسناً ويبقيها بقاء طويلا فتجود بثمارها اللذيذة النافعة

حياة النهضة : الثبات والاتحاد والعمل

ولا نزيد سيداتنا العاملات للخير استمساكاً بدعوات الاتحاد والتكاتف التي تقدم لهن من الغيورين على مستقبلهن وهو مستقبل البلاد باسرها ، اذ ماكان لهن ان يصلن الى هذه الدرجة الا بقوة هذا الاتحاد والتعاون . بل لانحضهم على الثبات في نهضتهن الجليلة التي كانت موضع اعجاب القاصي والداني حيال ما قد يعترضهن من العقبات البسيطة اوتقاعد بعضهن او شذوذه ، اذ لا يغرب عن الاذهان انهن ما زلن في دور الاختبار والتعلم الذي يجدر فيه التغلب على كل عقبة او صعوبة ، فلا يخامر قلوبهن اليأس بل يمتلئ همة ونشاطاً واقداماً فها هن قد خطون الآن بهذه الخطوات السريعة والمرحلة العظيمة التي قطعنها في سبيل اظهار عملهن واخراج نهضتهن نصف قرن كما قال أحد علماء الافرنج ، ويعجبني قول احدى فضليات كاتباتهن : « اذا نحن لم تتعهد نهضتنا النسائية بالعناية التامة تفشل وتصبح أثراً بعد عين ، وهنا يجدر بالمنتقد ان يقول هبت المصرية كزوبعة ثم هدأت ، أو مثلت

رواية في الطرقات ثم زال أثرها ، او لعبت دوراً على صفحات الجرائد ارادت به الظهور ثم انتهى بغير نتيجة ! » . فليثابرن على خطتهن المثلى ولا يعدن عما بدأن به أو يرجعن الى الوراء بل يتممن السير حتى يحققن لمصر ما ترجوه فيهن من الاماني الحسنة والآمال الطيبة

هـذا وخليق بالرجال ان لا يدعوا هذه النهضة النسائيـة وشأنها فانها لا تزال طفلة من حتمها علينا أن نأخذ بيدها وطالما كنا ننتظرها ونستحث عليها ربات الخدور ونعني بتربية الفتيات من أجلها ، وكل المصريين يعلمون انهم كانوا نصف امة قبل ان تنبعث روح العمل في النساء . لهذا نأمل من كل مصري ازاء هذه النهضة المباركة التي رآها من سيدات مصر ، وهي متجلية في هذا الـكتاب ، ان يبذل كل ما في وسعه لانماء الغرس وتقوية هذه النهضة ، فالأمة الراغبة في العلاء تعمل دائماً على مضاعفة كل حركة تعلي من شأنها



فهرس الكتاب